اشطر من ابليس

محمود تيمور

اقرأ

محمود تيمور

أشطر من إبليس

دار المعارف بمصر

أشطر من إبليس

للأستاذ الكبير

الفنان جورج أبيض

أهديه التحية

وأطيب الأماني

[illegible]

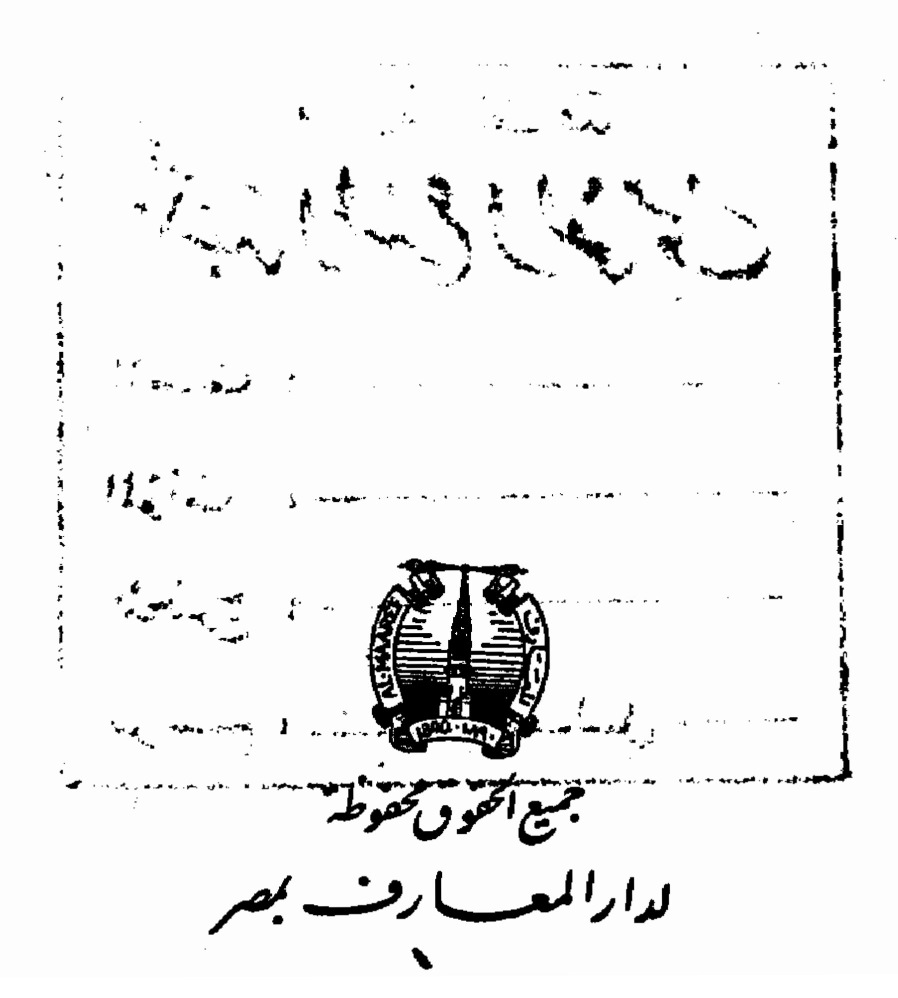
١٩٥٢

محمود تيمور

أشطر من إبليس

١٢٢
اقرأ
دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

اقرأ ١٢٢ – مارس ١٩٥٣



أسماء الأشخاص

قطب الشياطين الأكبر .

بَزَعبول : زعيم الشياطين ، وخليفة شيخهم الراحل .

أرقَط : عميد المستشارين فى مملكة الجن ، تنساب على صدره لحيته ذات الشعب الخمس ، لكل شعبة لون .

إعصار : الأمين العام « لمجلس التشريع والأحكام » — (من الجن)

زمهرير : جنى من شيوخ المتزمتين ، يرأس « مجلس التشريع والأحكام » .

سبائك : جنى أمرد ، يلتمع كالفضة ، جانح إلى التجديد فى اعتدال .

أفعُوَان : رئيس الحراس فى قصر الزعامة الشيطانية .

أنابيب : عضو « مجلس التشريع والأحكام » ، مفرط البدانة ، مترهل الجثمان ، منبعج الكرش ، عليه سيماء الغباوة . منهوم بالطعام . لا تفتر عن الطحن أضراسه .

هلاهيل : زعيمة الطبقة الدنيا من الفقراء المعوزين — (من الجن)

طُغْيان : هو « زبرجد » الأمير الإنسى ، المتنكر .

زُعرور : تابع « طغيان » — أى الأمير « زبرجد » ، قزم إنسى أشـوَه .

خَلوب : قهرمانة — (من بنات الجن)

زغلولة : الساعد الأيمن « لخلوب » — (من بنات الجن)

زَفّاف : من سادة الشياطين

سرعوع : خادم « زفّاف » — (جنى)

حارس البرج — (جنى)

الأميرة « بنفسج » : ابنة عم الأمير « زبرجد » —(من الإنس)

قَرَنْفُل : صديق الأمير « زبرجد » —(من الإنس)

ياسمينة : قهرمانة مسنة ، فى قصر الأمير « زبرجد » (من الإنس)

رئيس الخدم ، فى قصر الأمير « زبرجد » .

الفصل الأول

قاعة الزعامة الشيطانية فى الكهف الأعظم .

قطب الشياطين ممدد على وطاء من حسك ، لحيته الزرقاء تفترش صدره ، وقرناه الفارعان يتمايلان يمنة ويسرة ، وبين حين وحين يهتز ذيله فيحرك الغطاء الذى يتدثر به ، فتبدو قدماه ذواتى حافرين مشققين .

يتململ قطب الشياطين فى رقدته تململ المحتضر .

« أرقط » عميد المستشارين ماثل قبالة الفراش تغمره الحسرة . يتطلع حوله بين فترة وفترة مرتقباً أن يقدم أحد .

حراس على الفجوات المظلمة التى هى أبواب القاعة . شراذم من الشياطين تتجمع وراء هذه الفجوات مستطلعة ، ثم لا تلبث أن تتفرق .

يقدم رسول ، فيسر كلمة إلى « أرقط » .

قطب الشياطين : (متطلعاً فى جهد إلى عميد المستشارين) : إيه يا «أرقط» ! ألم يقدم « بزعبول » بعد ؟

أرقط : جاء رسول يا مولاى ينبىء بقرب مقدمه . إنه يجتاز المسالك العلوية . . .

القطب : حسناً . ضع يا « أرقط » تحت رأسى وسادة من حجر الصوان ، إنه ليطيب لى أن أريح رأسى عليه .

يعجل « أرقط » بالوسادة إلى القطب .

أرقط : أما من شيء ترغب فى أن تسره إلىّ ؟

القطب : سأفضى بسرى إلى من له السر .

أرقط : أمرك يا مولاى . . . ولكن ألست عميد المستشارين فى دولتك المجيدة : دولة الأبالسة العظام . أثمة شك فى إخلاصى لزعامتك ، وإخلاصى فوق الشبهات ؟

القطب : ترفّع عن صغائر الآدميين يا « أرقط »

أرقط : (فى لهجة المستنكر) : مولاى !

القطب : (فى ضعف وتخاذل) : أمتبرم أنت بقولى ؟

أرقط : (فى خشوع) : الطاعة لمولاى .

يسمع قرع صنج يتوالى فى رنة مصمتة .
الشياطين تتجمع على الفجوات ترقب .

القطب : (يعلو برأسه قليلا يتسمع) : ها قد أقبل من فُرضت عليكم طاعته بعدى . . .

يبدو « بزعبول » الزعيم الفتى ، خليفة قطب الشياطين . متحير النظرات . يرتمى عند قدمى قطب الشياطين .
« أرقط » يتباعد قليلا .
قطب الشياطين يوجه الكلام إلى « بزعبول » :

أى « بزعبول » . يا خليفتى من بعدى ، ويا من سيئول

إليك الحكم فى دولة الأباليس . . .

بزعبول : (وهو لايزال خافض الرأس فى غمرة الأسى يهمهم) : مولاى!

القطب : أمسك عليك وقتك لا يضع فى وداع يذهب سدى .
إنى أعرف حبك إياى ، وإعظامك شأنى . أصغ إلىّ .
عما قليل تخبو شعلة حياتى ، وما هى إلا أن أذهب
روحاً زرقاء تأخذ مكانها فى برج الظلمات . اسمع . . .

« أرقط » يرهف السمع عن كثب .
قطب الشياطين يوجه الحديث إليه :

يا « أرقط » . إن قرنىّ ما برحا كما ألفتهما قادرين أن
يتصيدا خفايا الصدور . . . أنت شديد الفضول .

يماو برأسه جاهداً ويصيح :

فلينصرف من فى القاعة .

الأحراس ينحنون فى خشوع ويمضون .
ستر من الدخان ينسدل على الفجوات .
« أرقط » يخطو متثاقلا فى منصرفه . يقف
أمام مقعد حجرى غليظ متشاغلا بإماطة الغبار
عنه . القطب يصيح مرة أخرى :

ألم تسمع ما قلت يا « أرقط » ؟

أرقط : أيشملنى أنا أيضاً هذا الأمر يا مولاى ؟

القطب : أتريد أن أسلط عليك ذنَبي سوطاً تفهم به ما أعنى ؟

ينصرف « أرقط » على كره وذلة .

« القطب » يوجه الكلام إلى « بزعبول » :

سأحُور بعد لحظة دخاناً ، فأفارقكم إلى غير مرجع آخر الأبد !

بزعبول : (فى ألم وحسرة) : مولاى . . .

القطب : أصغ إلىّ يا بنىّ . إنى سائق إليك حديث الوداع فأحسن حفظه ووعيه ، ولا تحسبنّه من لغو القول

يبدو عليه الجهد

لقد تأمرت عليكم ألوف السنين ، فلم آل جهداً فى العمل وَفق شريعتنا المثلى ، ولم أتوان لحظة فى إعلاء كلمتنا على ربوع المشرق والمغرب .

بزعبول : (على حاله خافض الرأس) : هذا حق يا مولاى ، فقد ازدهرت فى عهدكم الأغر مملكتنا العتيدة .

القطب : ولكننى يا « بزعبول » لا أكتمك خبيئة نفسى : إننى غير راض عن جهدى ... إننى مستصغر ما صنعت يدى .

بزعبول : (يسمو برأسه دهشاً) : مولاى . . . لم يسبقك فى الحكم زعيم أتى ما أتيته . إن مملكتنا بفضل حزمك . . .

القطب : (مقاطعاً) : تريد أنى أحسنت القيام بواجبى نحو العشيرة ، وأنى أبليت بلاء عظيماً فى خدمة المبادئ الموروثة . . . ربما كان هذا حقاً . . . ولكن . . .

بزعبول : (زائغ النظرات) : أفصح مولاى .

القطب : إن قيامى بإغواء أبناء آدم ، والتغرير بهم — على نحو ما هو مفروض فى مبادئنا المقررة ، ومسجل فى دستورنا الأعظم — أمر بدا لى الآن غير ذى بال . . . ماذا كان من صنعى يستوجب أن أفاخر به ؟ أعترف جهرة بأنى لم أصنع شيئاً . . .

بزعبول : مولاى !

تسمع همهمة فى الخارج .
يقدم رئيس الأحراس « أفعوان » .

أفعوان : عاد « سبائك » من جولته فى الأرض . فهل يؤذن له فى المثول ؟

بزعبول : أنظره قليلا يا « أفعوان » . . .

القطب : ماذا ؟

بزعبول : (للقطب) : « سبائك » عاد من جولته فى الأرض يا مولاى .

القطب : فليقدم علىّ . شدّ ما أنا شيّق إلى معرفة ما كان من أمره

فى دنيا الآدميين . . . وماذا بلغ من مغامرته هنالك .

« بزعبول » يشير إلى « أفعوان » رئيس
الأحراس إشارة باستدعاء « سبائك » .
« أفعوان » ينصرف .

أتذكر مهمة « سبائك » ؟

بزعبول : أذكر أنك بعثت به إلى الأرض لكى يضلّ كبيراً من أهلها أمعن فى الصلاح والتقوى ، حتى أصبح القدوة الحسنة والمثل المضروب .

القطب : أتذكر متى أرسلنا « سبائك » ؟

بزعبول : منذ عشرين عاماً ، أو يزيد .

القطب : واعجباً ! أعشرون عاماً تنقضى فى إغواء آدمىّ عُرف بالصلاح ؟ أنحن حقًّا أبالسة ؟

يبدو « أفعوان »

أفعوان : (صائحاً) : « سبائك » رسول الإفساد فى الأرض .

يقدم « سبائك » ملتمعاً كالفضة ، متقدماً
نحو القطب ، ثم يركع مقبلا ذيله .
يبدو « أرقط » فى أثره .

القطب : انهض يا « سبائك » وأخبرنى بما تم على يديك من جلائل الأعمال .

سبائك : (ناهضاً) : مولاى مطلع على الظاهر والخفىّ . إنك لمحيط بكل ما كان . . .

القطب : أرغب فى أن يسمع « بزعبول » القصة من فمك . وليكن قولك موجزاً مفيداً . اذكر أن ليس فى وقتى سعة .

بزعبول : ماذا تم ؟

سبائك : لقد هوَى زعيم الصلاح والتقوى فى الخطيئة الكبرى ، حتّى احتوته أعماق السجون .

بزعبول : مرحى ! هنيئاً لك ما قمت به من غواية وإفساد .

القطب : « سبائك » . . .

سبائك : مولاى .

القطب : كن صريحاً وقل . . . أجدير أنت بالتّهنئة كاملة ؟

سبائك : مولاى ! ألم يأثم الرجل ويفتضح أمره ، بعد أن قضى حياة كلها طهر وعفاف ؟ !

القطب : ألم يتم لك ذلك بعد عشرين عاماً صحبته فيها ؟ . . أتعد هذا نجاحاً عظيما ؟ !

سبائك : ألم تزلّ قدمه بعد ثبوتها ؟ ألم تكن الخطيئة ختامه المحتوم ؟

القطب : حسناً . . . قصّ علينا قصتك

سبائك : كان هدفى الأول منذ حللت الأرض ، ووقع بصرى

على الرجل ، أن أدفعه إلى اقتراف الموبقات الثلاث : الكذب ، والسرقة ، والقتل . وقد جهدت فى سبيل ذلك ما جهدت ، ولقيت من العنت ما لقيت ، وكدت أخفق فيما إليه هدفت ، لولا . . .

القطب : ماذا ؟

سباثك : لولا أن استعنت أخيراً بحكمتك العظمى يا مولاى ، وهى أن الأنثى بريد الخطيئة المأمون . . .

القطب : لم تكن حكمتى أنا وحدى ، بل هى حكمة الأزل ، منذ كان خروج « آدم » من جنة الخلد .

سباثك : أعترف بأنى غفلت عن هذه الحكمة بادئ الأمر ، ولكننى فطنت إليها من بعد ، فوسوست لعذراء من الغيد الحسان أن تغوى الرجل ، وكانت فقيرة مغمورة ، فأثرتُ فى جنبات نفسها غريزتين : غريزة الطمع فى مال الرجل وجاهه ، وغريزة حب التأمر عليه ، والاستئثار به ، فما عتمت أن اندفعت فى طريقها ناشطة ، وما أسرع أن انزلق الرجل فى حمأة الإثم .

أرقط : وأين من ذلك الكذب والسرقة وسفك الدماء ؟

سباثك : إن إغرام الرجل بهذه الغادة تردّى به فيما أردتُ له من شرور وآثام .

بزعبول : أكذَب وسرَق وكان قاتلا ؟

سبائك : من جراء تهالكه على هذه الغادة ، وابتغاء مرضاتها ، أتى كل منكر .

القطب : (فى شىء من التهكم) : وهذا كله بفضل غوايتك ؟!

سبائك : أترانى يا مولاى قصرت فى أداء واجبى ؟

القطب يتضاحك فى ضعف .

يبدو على « سبائك » الضيق والقلق .

أرقط : هلا تنزّل مولاى فأبان لنا فيم يضحك ؟

القطب : إنها لقضية طريفة حقاً ، وإنى لكاشف خباياها لك، وسيكون هذا آخر درس ألقيه عليك . . .

«سبائك » يرهف السمع

القطب : إن بطلك الآدمى العظيم ، أو بالحرَى غريمك العتيد ، عاش عمره متنكباً عن مغامرات الشباب . وكانت له زوج تكبُره ، فعاشرها خامد الحس ، ينظر إليها كما ينظر إلى أمه التى ولدته ، وفى قرارة نفسه عاطفة أصيلة نحو المرأة فى أنوثتها الجياشة . وكان حرمانه وكبت عاطفته يدفعانه إلى أن ينفس على الذين يستمتعون بالحب والجمال ، فلا يملك إلا أن يزرى بهم ، ويعيب سلوكهم ، متخذاً من حياة الحرمان والكبت التى

يحياها سوطاً يجلد به غير الكابتين والمحرومين . . . وطالما
اتهمه من حوله بأنه فاقد الرجولة ، فاستوثقت فيه عقدة
الدفاع عن نفسه ، وما إن سنحت له فرصة التعرف
إلى هذه العذراء ، واجتلاء ما لها من مفاتن ، حتى
ثارت كوامنه ، فأقبل على الفتاة فى غير حيطة ولا تبصر
وما زال يتحدر حتى التقمته الهوة السحيقة .

بزعبول : إذن هو صريع نوازعه النفسية .

القطب : أصبت . إنه صريع ملابسات حياته ، وما تعقد من
نزوات فى نفسه .

سبائك : نفسه ؟

القطب : أجل ! نفسه . . .

بزعبول : (بعد تفكير) : أى حق لنا إذن — نحن معشر
الشياطين — فى أن نفخر بمهارتنا فى الإغواء والإفساد ؟

القطب : (منتشيا) : أصبت . وهأنذا أراك تنفذ إلى بواطن
الأمور . إن الشيطان الأكبر لبنى آدم هو نفسه ،
نفسه هو .

أرقط : أيكون « سبائك » قد أخفق إذن فى مهمته ؟

القطب : لقد نجح « سبائك » لا شك ، نجح فى تهيئة الأسباب
التى لا بد منها لإفساد الرجل الصالح ، ولكنه نجاح

غير خليق بفخر عظيم .

يبدو على « سبائك » الضيق

لا تأس يا « سبائك » . لقد نهضت فى نطاق قدرتك بعمل لا يستهان به ، أيقظت فى هذا الآدمىّ نوازعه المستكنة . لا أغمطك حقك .

سبائك : مولاى !

القطب : لم يكن فى وسع غيرك من أبناء جلدتنا أن يفعل فوق ما فعلت . إنى أهبك «وسام الغواية» الأكبر . هاكه ...

يقذف بالوسام إلى « أرقط » ، فيتناوله ، ويعلقه على صدر « سبائك » .

والآن ، أرغب فى خلوة إلى « بزعبول » .

« أرقط » ، و « سبائك » ، ينحنيان لقطب الشياطين و ينصرفان .

القطب يقول « لبزعبول » :

ها قد رأيت يا « بزعبول » .

بزعبول : مولاى !

القطب : اعترف لى بما تبينت ، ولا تكابر فيما سمعت . ماذا ترك لنا الأناسىّ من فخر ؟ ألا ترى أنهم تغالوا يا بنى فى مقدرتنا على الغواية والإضلال ؟ نحن اثنان لا ثالث

معنا . فلنتكاشف، ولنعرض أعمالنا مع البشر . ماذا تقول فى هذه الشرور والآثام التى يقترفها الإنسان على وجه الأرض ؟ أتراها مما كسبت أيدينا ؟ تكلم «بزعبول»

بزعبول : (مفكراً) : كلا مولاى الزعيم .

القطب : إن الإنسان ليجنى الشر مطمئناً على عمد ، ثم لا يلبث أن يُنحى علينا باللائمة فى يسر ، وكأنه ينفض عن منكبيه غبار التبعة ، ويلقى على كاهلنا الوزر كله ، فتقر عينه بأنه من الذنب برىء . . . ونخرج نحن من المعركة بالشنعة وفضوح السمعة . . . ساء ما صنع بنا الإنسان اللئيم !

بزعبول : ولكننا — يا مولاى الزعيم . . .

القطب : خلّ عنك المكابرة ، ولا تعز إلى نفسك مهارة أنت منها خلىّ . ولا يكن مثلك مثل الذين يسرهم اكتساب الشهرة بالتلصص وإن لم يكونوا لصوصاً مهرة . . . ذلك ضعف آدمى ، فلتترفع عنه أنت ، يا من سيئول إليك الأمر من بعدى فى دولة الأباليس . لقد جاهرتك بالحق ، لتنجلى عن عينيك غشاوة الباطل . . .

يضعف صوته

بزعبول : وماذا تريدنى أن أفعل ؟ !

القطب : أريدك على أن تحسن التفكير والروية ، وأن تعمل ...

يزداد صوته ضعفاً . يشير إلى قارورة عن كثب منه

بزعبول : (يناوله القارورة) : إليك يا مولاى . . . فاسلم لنا ، وأقم بيننا ، لا عدمناك زعيماً .

القطب : (يشتف ما فى القارورة) : أسرفت فى قول معسول لا خير لى ولا لك فيه . حسبك . أما رحلتى عنكم وشيكا فأمر واقع لا محالة . . . استمع إلىّ . إنى مستخلفك على هذه المملكة العظمى ، فماذا أعددت لها من منهج وخطة ؟ لا تقل إنك متأثر خطاى . لقد أوضحت لك أننى لم آت شيئاً يذكر فيشكر . . .

بزعبول : كيف أستبين طريقى إذا لم أحذ حذوك ، وأقفُ أثرك ؟ أفتنى يا مولاى فديتك . . .

القطب : افتح فتحاً جديداً ، وشق أفقاً بكراً .

بزعبول : مولاى !

القطب : ايت بمعجزة تثبت بها أننا أهل لغير الشر .

بزعبول : مولاى !

القطب : ليعلم البشر أن الشر منهم وإليهم ، وأن الشر فى بيئتهم ناجم ، وفى نفوسهم كمين ، فليعفونا من تهمة نحن منها

بُرَءاء، وليخلونا من مهمة لم تكن لنا بها يدان، ثم ليراجعوا أمرهم ، وليحملوا وزرهم . . . آن لهم أن يتحلوا بشيء من فضيلة الحق . . . وآن لنا أن نعدل إلى ميدان جديد !

يبدو جثمان قطب الشياطين وقد أخذ يحترق على مهل ، وينبعث منه دخان أزرق ، فيجثو « بزعبول » أمام الجثمان ، والدخان حوله يتكاثف ، فتخبو الأضواء وتعم الحلكة ، ثم يدوى صوت انفجار عنيف .

تنقشع سحب الدخان شيئاً فشيئاً ، وتعود الأضواء إلى سابق عهدها ، فيرى « بزعبول » على حاله جاثياً أمام السرير وقد اختفت جثة قطب الشياطين . ينهض « بزعبول » ، ويتلفت حوله ، ثم يتخذ لنفسه سمت الزعامة .

بزعبول : (صائحاً) : يا هيئة المستشارين ، من أبالسة الجحيم . . . يا زعماء مملكة الظلام .

ينفذ من الفجوات رهط من زعماء الشياطين ، بينهم « أرقط » و « سبائك » و « زمهرير » ، و « إعصار » . ومن بينهم شخص ملثم ينتبذ مكاناً قصيا ، وقد تلفف فى عباءة خشنة فضفاضة .

« بزعبول » يعتلي المنصة ، وقد اعتمد بيده على
مرزبة ضخمة :

إني أحمل إليكم تحية زعيمنا الراحل ، تحية وداعه الأخير

تطاطىء الرءوس ، وتهتز الأذناب ضاربة
الأرض ، وتسرى همهمة تفجع رأسى :

كان زعيمنا العظيم يفكر في خيركم وحسن سمعتكم
حتى النفس الأخير . . .

جمع الشياطين يرسل شهيق اللوعة والحزن

وقد أودع صدرى وصية جليلة ألزمت نفسى تنفيذها ،
على عظم خطرها . فهل أنا واجد منكم — أيها الرفاق
ظهيراً أشد به أزرى ، وأستعينه على أمرى ؟

الجمع : كلنا لك عون وظهير .

أرقط : هل لمولاى الزعيم الجديد أن يبسط لخلصائه وأنصاره ،
ماذا من أمر هذه الوصية الخطيرة ؟

بزعبول : إنها شديدة الإيجاز ، بعيدة المغزى : افتح فتحاً
جديداً ، وشق أفقاً بكراً . وأت للناس بمعجزة تثبت
لهم أننا أهل لغير الشر .

أرقط : عجباً ! إذا لم نكن نحن للشر وحده أهلا فلأى شيء
نكون ؟ !

همهمة من هنا وهنالك تتجاوب بها أرجاء القاعة

زمهرير : (يتقدم منحنياً أمام « بزعبول » فى إباء) : وماذا يرى زعيمنا الجديد ؟

بزعبول : أريد يا « زمهرير » أن نثبت لبنى آدم أننا أبرياء مما يكسبون من إثم وعصيان ، وأن الشر فى بيئتهم ناجم ، وفى نفوسهم كمين ، فلا يظن أحد منهم بنا الظنون .

أرقط : وما لنا ولهذا كله ؟ وهل بيننا وبينهم ود نخشى أن تتقطع بنا وبهم أسبابه ؟

بزعبول : ولم لا نحاول أن نجلو للناس ما خفى عليهم من أمر أنفسهم ، فيكون لهم فى ذلك تبصرة ، ويكون لهم من ذلك صلاح .

الحاضرون يهمهمون ويسترسلون فى تضاحك مكبوت

أرقط : هذه محاولات لا تدخل فى نطاق ما توسدنا من عمل ، وما نيط بنا من مهمات ، فأنت تكلفنا ما لم نألف ، وما لا يقع لنا ببال . . . نحن نصلح البشر ؟!

يتضاحك

محاولة مكفول لها الإخفاق !

بزعبول : (غاضباً) : علينا أن نحاول وحسب .

أرقط : هذا مروق من دستورنا الشيطانى المقرر ، وتمرد على شريعة إبليس الأعظم !

بزعبول : (صائحاً) : لا مروق ولا تمرد . .

أرقط : (متعالياً بصوته) : تلك حيدة واضحة عن طريق السلف الموقر !

بزعبول : (وقد رفع المرزبة فى وجه « أرقط » فيلدوى الرعد) : أثمة معارضة لباكورة أحكامى ؟ !

الصمت يغشى المكان

أرقط : تلك الطاعة أيها الزعيم .

تجمع من الزعماء ، تسوده همهمة

بزعبول : إلىّ يا « إعصار » . . .

إعصار : لبيك أيها الزعيم !

بزعبول : تقدم فصارحنى برأيك .

إعصار : ليأذن لى الزعيم أن أجهر له برأيى فى غير مواربة ، أنت مثلى عليم بأن هناك تقاليد موروثة فى قانوننا المقدس . . .

بزعبول : نصوص منها ما لا يقف عثرة فى سبيل أداء رسالتنا ، والمعول على الجوهر لا على المظهر . . . وإن قطب الشياطين الراحل كان يعرف من صوالحنا فوق ما نعلم ، وقد ترك لنا من بعده وصيته ، وإنا لعاملون على تحقيقها

حتى ترضى عنا روحه فى برج الظلمات !

همهمة من الجمع

ما زلتم تهمهمون !

سباثك : لمست من قول الزعيم أنه يهدف إلى تبديل أصيل لقانوننا الأعظم .

بزعبول : نعم ! هذا ما هدفت إليه . . .

سباثك : ليس هذا التبديل إلا تجديداً شاملا فى مهمتنا . . . وما أنكر ضرورة التجديد .

زمهرير : بل إنه لأمر جد خطير . . .

بزعبول : فليبلغ من الخطر ما هو بالغ ، ولكن النفع كل النفع فيه . لقد لبثنا نحن معشر الأبالسة السنين بعد السنين ، بل القرون تلو القرون ، دون أن ينالنا من التطور نصيب . . . ألا بئس الجمود !

سباثك : التطور ليس منه بد .

أرقط : (لبزعبول) : ليس التطور ما أردت بنا أيها الزعيم ، إنما أردت بنا أن نهدم القواعد ، ونقلب الأوضاع .

زمهرير : إيانا والتطرف، فجنبْنا مخاطر الجموح أيها الزعيم الجديد .

الشخص الملثم (يتقدم صائحاً) : ما دام الإصلاح والخير هدفنا

فلا اكتراث بشيء . . .

« زمهرير » ، و « أرقط » ، و « إعصار » ،
يتساءلون في صوت خافت عن هذا الشخص الخفي

سبائك : ليس من الحكمة أن ننقل قدمنا خطوة قبل أن نقدر لها
موضعها ، فلا نستبدل بقديمنا جديداً حتى نستبين :
أشر يحيق بنا من جرائه أم رشد ؟

الجمع يتنازعون الآراء ، همهمة تستبين فيها
كلمة « التطرف » حيناً و « التدرج » حيناً
أصوات تغمغم : « مجلس التشريع والأحكام . . .
لا بد أن يفصل في الأمر بادىء بدء » .
التصايح يشتد

بزعبول : (صائحاً) : صمتاً !

الصمت يغشى المكان

دعوني أفكر وأدبر فترة . . .

يسود الظلام أنحاء المكان .
ضوء وردي يركز على رأس « بزعبول » في حين نرى
بعض الأضواء تمر على هامات الشياطين ، فنراهم
وقد تفرقوا شيعاً يجادلون ويناقشون .
يعود الضوء إلى سابق عهده .

بزعبول : (وقد بسط قامته) : علام عولتم يا رفاق ؟ . .

زمهرير : وحق إله الجحيم إنى لا أعرف لتلك الفتنة داعياً ، ولا أفقه لهذا التشاحن كنهاً ، ما لنا ولهذا الخلاف؟ أجدّ شيء فى مجتمعنا يدعو إلى تغيير وتبديل ؟

الشخص الملثم : إنك لا تستشعر ما فى مجتمعنا من سوء يستوجب التغيير والتبديل . . .

همهمة من « زمهرير » ، و « أرقط » ، و « إعصار » ، وتساؤل عن هذا الشخص الخفى

زمهرير : أى سوء هذا الذى تتحدث عنه ؟ ماعلمنا لأحد من شكاة ، ولا لمحنا على أحد من تذمر . إن الشعب الشيطانى يحيا رافهاً فى حبور . . .

يتقدم الشخص الملثم جريئاً ينضو عن وجهه لثامه ، ويخلع عنه عباءته ، فيبدو فى أسمال .

الشخص المجهول : (مضطرم العينين ،قائلا « لزمهرير») : انظر إلى أيها الشيخ العتىّ ، أهذه هى الرفاهة التى ينعم بها شعبك الشيطانى ؟

الجمع يهمهم : « هلاهيل »... « هلاهيل »

هلاهيل : أجل أنا « هلاهيل » ، زعيمة الطبقة الدنيا : طبقة الفقراء الكادحين .

توجه كلامها إلى « بزعبول » :

لم يكن لنا من حياة السعداء نصيب أيها الزعيم ، وقد عشنا فى غفلة طوال السنين ، وإنا لمستيقظون اليوم ، فمطالبون بحقنا فى حياة كريمة رافهة .

أرقط : (شامخ الأنف) : من أدخل هذه الوَقاح ؟

يلتفت إليها

كيف سوّلت لك نفسك أن تسربى إلينا ، وتنتظمى فى عدادنا ؟

هلاهيل : إنى أمثّل أهل طبقتى فى مملكة الشياطين ، ومن حقى أن أرفع ظلامتى إلى الزعيم .

أصوات : (فى غضب) : فلتخرج . . . فلتخرج .

سبائك : (فى ملاينة ، محاولا أن يطفىء ثائرة الغاضبين) : رفقاً يا كبراء الأباليس . . . أناة وحكمة !

إعصار : أى حكمة فى أن نصابر هذه الوَقاح ؟!

هرج ومرج ، وأصوات محتدة عالية

بزعبول : (رافعاً مرزبته صائحاً) : صمتاً وطاعة !

الجمع ينحنون

يتقدم « بزعبول » من « هلاهيل » يتفحصها

لا أذكر أنى رأيتك من قبل ! ألقيت زعيمنا الراحل يوماً ؟

هلاهيل : حيل بيى وبينه أيها الزعيم الجديد . . . لقد حجبوا عنه ظلامتى .

« سبائك » ، وقد استهوته فتنة « هلاهيل » ، يحدق فيها مشغوفاً .
« بزعبول » يدور حولها هنيهة ثم يقف قبالتها ، مبتسماً .

بزعبول : إنى لأتبين خلف هذه الأسمال إشراقاً وصباحة . . . ليتك ترين من أمر نفسك ما نرى ، إذن لتعهدت نفسك بالرعاية ، وإذن لكان لك فى مجتمع الأبالسة شأن أى شأن !

سبائك : أنّى لها أن تُعنى بنفسها ، وهى زعيمة طبقة تكدح لتجد الكفاف ؟

هلاهيل : أحسنت قولا ، فابسط قضيتنا لهؤلاء السادة الذين لا يعرفون كيف نحيا وكيف نجهد ؟

أرقط : (ثائراً) : جديدٌ ما نسمع اليوم . . . وإنها لهزة تصيب ما تعارفناه من نظام الطبقات .

سبائك : من حق هذه الزعيمة أن تفيض فى شكواها . إنها منا ،

عضو عامل فى دولتنا ، فلا نأخذ عليها الطريق .

بزعبول : سننظر فى أمرك يا « هلاهيل » ، فاهدئى بالا ، واطمئنى إلى أن ظلامتك ملاقية منا رعاية أىّ رعاية .

إعصار : حقًّا إن زعيمنا الجديد يقلب أوضاعنا الموروثة وتقاليدنا الموقرة رأساً على عقب .

أرقط : (بعد أن يغمز « إعصاراً » غمزة ذات مغزى) : ما دام مولاى يبغى أن يحدث حدثاً جديداً فى دستورنا المقرر وكياننا القائم ، فليسمح لنا ونحن أسناد مملكته ، ووجوه معشره ، أن نطلب إليه الاحتكام إلى « مجلس التشريع والأحكام » . . . وما بنا أن نعارضه فى أمر ، ولا أن نغالبه على رأى ، ولكن الروية خير ، والشورى سداد .

إعصار : بوصفى الأمين العام « لمجلس التشريع والأحكام » أوافق على دعوة المجلس لهذا الأمر العظيم .

زمهرير : وأنا بوصفى الرئيس الأعلى للمجلس أقر هذه الخطة . .

بزعبول : تُجمعون على دعوة « مجلس التشريع والأحكام » . . . حسناً ، ولكن أتزعمون أن فى ذلك نفعاً لما نريده من تجديد النظم والأوضاع ؟

أرقط : أفى ذلك ريب ؟ تلك كانت سُنة سلفكم الراحل ، فكلما حزَبه أمر دعا المجلس له ، واستمع لرأيه فيه .

بزعبول : ما أذكر أن المجلس أجدى فى شيء مما عرض عليه .

زمهرير : إن المجلس يتألف من كبراء الأباليس ، وإنهم ليتطارحون القول فى حرية . فإذا أقروا أمراً كان زبدة الرأى . . .

بزعبول : ماذا أفاد المجلس فى ماضيه القريب أو البعيد ؟

أرقط : ألم ينظر فى قوانين ونظم لها كبير الأثر فى خير المملكة وضبط أمورها ؟

بزعبول : ربما كان القليل منها لا يخلو من خير وجدوى .

هلاهيل : أما أكثر هذه القوانين فإنما كان لرعاية المصالح الشخصية . . . مصالح الوجوه والكبراء .

جمع المحافظين يحدجها بعيون متقدة

أرقط : (لبزعبول) : أهذا مبلغ تقدير الزعيم الجليل لمجلس التشريع والأحكام ؟

هلاهيل : إنك لتذكر بالخير هذا المجلس العظيم ! وكيف لا وقد فسح لك مجال الدفاع عن صوالحك ؛ فأقر لك من النظم ما ييسر لك الثراء العريض ، ويحمى صوالحك الخاصة ؟ وكيف لا يقرك على ذلك رفقاؤك فى المجلس ، وهم على شاكلتك ذوو صوالح ، وأهل ثراء ؟ . . .

ضجة ، واحتداد من جماعة المحافظين

زمهرير : (موجهاً الكلام إلى الزعيم) : لقد كفلنا لكلٍّ حريته فى المعارضة والنقاش، فسلكنا فى ذلك سبيل الديمقراطية الحق .

هلاهيل : الديمقراطية ! كلمة رنانة خلاّبة حقًّا ، ولكن أين هذه الديمقراطية فى معناها الأصيل ؟ كل منكم يفسر معنى الديمقراطية والحرية على الوجه الذى يرتضيه ، متخذاً منها مطية لإدراك ما يهدف إليه . يا ويل الديمقراطية الحق ممن يتكلمون بلسانها ، ويتشدقون بمعناها !

زمهرير : (فى استنكار شديد) : كفى أيها الزعيم . . . !

بزعبول : أليست الديمقراطية أن نبيح لكل امرئ حرية القول ؟

زمهرير : إن ما نسمعه اليوم خروج على النظام العام ، وهدم لما تواضعنا عليه من عرف وتقليد .

بزعبول : وإنى أجيزه ، لأنه لا يخلو من حق .

إعصار : أتجيز القول بأننا لم نكن أمناء على مثلنا الأعلى فى الحكم ، أعنى الديمقراطية ؟

بزعبول : كفكف من حدّتك يا « إعصار » . . . تدبر مليًّا ما نردده من كلمات المثل العليا ، والفضائل الرفيعة ، واعلم إن لم تكن تعلم أن هذه المعانى لا وجود لها إلا فى رءوس الفلاسفة وأخيلة الشعراء ، أما عند التطبيق فكل فضيلة

من الفضائل الرفيعة تتخذ لون صاحبها ، وكل مثل من الأمثلة العليا يتشكل وفق أهواء من يتحلى به .

زمهرير : إذن لا رجاء لنا فى إصلاح ، ما دامت الفضائل الخالصة ، ليس لها فى الحقيقة وجود ، ولا يمكن اتخاذها كما هى فى مدلولها الصحيح . .

بزعبول : إصلاح نظمنا فى الحياة وقف على إصلاح نفوسنا قبل كل شىء ، ونحن مجبولون على النقص ؛ وفى فطرتنا تكمن الآفات والعيوب ؛ فلكى نقترب من مستوى الفضائل ، وندنو من أفق المثل ، علينا أن نكافح أنفسنا ، حتى نعالج ما بها من عيوب ونقائص ، وإذن تصلح أحوالنا قليلا قليلا . . .

هلاهيل : لا مناص من تغيير أنظمتنا فى مجتمعنا المضطرب ، وإن الكثير من هذه الأنظمة ليعوزه التجديد أيها الزعيم . . .

بزعبول : سأضع برنامج إصلاح شامل ، وأرغب إليكم أن تعينونى على تنفيذه .

سبائك : (مستوضحاً) : دون استشارة « مجلس التشريع والأحكام » أيها الزعيم ؟

بزعبول : ألا ترى أن أساليب النقاش والجدل فى المجالس تعوق خطا الإصلاح ؟

أرقط : إنى ألمح أيها الزعيم فى قولك نزوعاً إلى معالجة الأمر على نحو يتجافى عن الشورى .

سبائك : هذا ما يسمونه فى الأرض مذهب « الدكتاتورية » .

بزعبول : لا عبرة بالأسماء . . . فما دام العدل أساس الحكم فليكن الاسم ما يكون ، ولتكن الصورة ما تكون .

أرقط : إنها لفكرة خطيرة أيها الزعيم .

بزعبول : عجباً ! كنت من أنصار هذا الرأى يا « أرقط » ومن قادة محبّذيه . . . ألا تذكر؟

أرقط : هذا صحيح . . . ولكن الآن . . .

بزعبول : ولكن الآن تغيّر رأيك ، إذ شعرت بأن منفعتك لم تعد مكفولة بهذا الرأى .

أرقط : إنى لا أنشد إلا المنفعة العامة . وحكم الشورى هو خير الأحكام .

بزعبول : ألا ترى أن حكم الجماعات فى كثير من الأحيان تعصف به الأهواء ؟

سبائك : مهما يكن من أمر — أيها الزعيم — فإن حكم «الديكتاتور» وإن صلح وقتاً لا يصلح فى كل وقت . . . شاهدت بعينى رأسى أمثلة من ذلك على وجه الأرض .

بزعبول : فلنترك أرضك وشأنها .

سباثك : أيسمح لى الزعيم أن أكون صريحاً ، وقد لمست فيه رغبة صادقة فى الإصلاح ؟

بزعبول : . . . . قل ما عندك .

سباثك : كن على ثقة أيها الزعيم أن الأرض منبت لكثير من طريف الأنظمة والآراء . وأنها ميدان عظيم تتصارع فيه الأفكار . فما ضرنا لو انتفعنا بما هنالك من تجارب؟

أرقط : نأخذ ما ينفعنا ، ونترك ما نخشى منه الضرر .

سباثك : وإنى لأرى أن أصلح نظام لنا هو الشورى على ما فيها من مغامز وهنات .

بزعبول : إذا ارتضيتموها جميعاً فلا مانع عندى من وِفاقكم عليها .

الجمع : نعم . . . إنا بها راضون .

بزعبول : سنجمع « مجلس التشريع والأحكام » وسنرى ماذا هو فاعل ؟

هلاهيل : أطلب أيها الزعيم أن أكون بين أعضاء المجلس لأعرض عليه مطالبى العادلة .

إعصار : لم يكن يعوزنا إلا أن تشركنا فى عملنا هذه الشّغوب !

أرقط : إن تقاليدنا تقضى ألا نشرك هذه الطبقة فى « مجلس التشريع والأحكام » .

بزعبول : أمركم عجَب . . . ما دمتم تطالبون بالشورى وباتخاذ

مثل الديمقراطية، فكيف تمنعون عنصراً من عناصرنا أن يشارك برأيه فى المجلس ، ويعرض مطالبه عليه ؟

أرقط : إنها التقاليد ، ولها حكمها المقرر . . .

سباثك : مطلب « هلاهيل » لا ضير منه ، وإنى أرتضيه . لزام أن نسمع شكواها وننصفها . . . إن الطبقة التى تمثلها هى الطبقة العاملة الناشطة ، ولها خطرها فى مجتمعنا العتيد .

تصايح يختلط فيه الإنكار بالموافقة

بزعبول : (وقد رفع مرزبته صائحاً) : أتريدون دعوة « مجلس التشريع والأحكام » لإقرار الوضع الجديد ؟

الجمع : نعم . . . نعم .

بزعبول : إذن فلتقبلوا معكم « هلاهيل » ، ولتكن بين الأعضاء .

هرج ومرج ، وتصايح .
الضوء يتزايل . تسمع أنغام موسيقية صاخبة .
يسود الظلام على حين تتواصل الأنغام .
بعد فترة ينطلق النور ، فإذا القاعة قد تحولت قاعة « مجلس التشريع والأحكام » .
وفود الشياطين تملأ رحابها جماعات جماعات .
جماعة « أرقط » تضم « زمهريراً » ، و « إعصاراً » ، و « أنابيب » وهو لا يفتأ يحشو فمه بالطعام .

« سبائك » مع « هلاهيل » ومن إليها ، فى موقف ألفة وانسجام .

زمهرير : (متحدثاً إلى جماعته ، مشيراً إلى « هلاهيل » و « سبائك » وهما يتناقلان الحديث فى بشاشة وأنس) : ياله من منظر عجيب!

إعصار : مغازلة وغرام ، فى « مجلس التشريع والأحكام » !

أرقط : ما أسقم ذوقه !

إعصار : لم تبق لى ثقة « بسبائك » هذا ... إنه لطول إقامته فى الأرض عاد إلينا بجرثومة من جراثيم البشر !

زمهرير : أية جرثومة ؟

أرقط : جرثومة المغازلة !

أنابيب : حقًّا ما أسخفها . إنها لا تسمن ولا تغنى من جوع ، كان أولى به أن يأتى لنا بشىء مفيد .

إعصار : مفيد . . ؟ ماذا تعنى يا « أنابيب » ؟

أنابيب : مفيد . . . أعنى شيئاً يملأ البطون .

يحشو فمه بحفنة مما فى يده من الطعام متضاحكاً

«أفعوان» يقدم ، ويقرع الأرض بهراوة طويلة.

الجمع ينتبه .

أفعوان : (صائحاً) : زعيم الأباليس « بزعبول » .

« بزعبول » يبرز من بطن الأرض ناشراً جناحيه

الجمع ينحنى له تحية وتكريماً .

بزعبول : ياكبراء القوم : لقد جمعنا « مجلس التشريع والأحكام »
وفق ما أشرتم به . فأناشدكم إله النار أن تعملوا معى فى
أمانة وإخلاص ، وأثبتوا أنكم شياطين ، وأنكم بهذا
اللقب خلقاء .

الجمع : مرحى . مرحى .

« أنابيب » يزدرد طعامه وهو فرح طروب

إعصار : أما انتهى لك مطعم يا « أنابيب » ؟

أنابيب : وماذا فى أن أطعَم يا « إعصار » ؟

إعصار : نحن فى المجلس . خل عنك الطعام اوقت غير هذا
الوقت . إن حزب المعارضة أمامنا بالمرصاد .

أنابيب : (نافضاً يده فى استياء) : حسن . حسن . . . لقد
فرغتْ يدى . . . سوف لا أجد ما أطعَمه !

بزعبول : أبدأ حديثى إليكم : أخبركم بأنى قد أعددت لكم
طائفة من القوانين الجديدة التى تهدف إلى الإصلاح .
ولكننى قبل أن أذيعها عليكم أذكّركم بأن أحكم قانون
وأهداه ينقلب إلى شر جسيم إذا أنفذتموه وفق الأهواء
والمطامح (يلتفت إلى « سبائك ») « سبائك » !

سبائك : لبيك زعيمى . . .

بزعبول : حدثهم ماذا فعل « بنو آدم » بما أتيح لهم من جلائل القوانين . . .

سبائك : إن المولى الأعظم إله الأرض والسماء قد حبا الأناسى بقوانين أنزلها فى كتبه المقدسة ، قوانين إلهية لا ينفُذ إليها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ؛ لو عملوا بها كما تلقوها لما كان على ظهر الأرض من فساد .

إعصار : كيف كان صنيعهم بها فيما ترى يا « سبائك » ؟

سبائك : تناولها نفر من القادة والزعماء فنحلوها صبغة أهوائهم ، وأفاضوا عليها ما أفاضوا من ذات نفوسهم ، وقالوا ذلك هو مفهوم القانون السماوى ، وتلك هى حقيقة الشريعة المقدسة ؛ فلم تعصمهم من فساد ، ولم تهيئ لهم من أمرهم رشداً . . .

فى أثناء هذا الحديث ، يشغل « أنابيب » بالتحدث إلى جيرانه ، طالباً إليهم إسعافه بطعام ، فينحازون عنه ، ضائقين به ، مجتهدين فى إسكاته .

هلاهيل : إن القانون القوىّ يَحُور على يد الضعفاء هزيلا ، والقانون الضعيف يغدو على يد الأقوياء من المصلحين قويًّا بالغ الأثر .

سبائك : القانون يقاس بتنفيذه ، لا بوضعه وتشريعه .

بزعبول : فلنكن – أولا – صلحاء مخلصين ، تكن قوانيننا صالحة مفيدة . أتعاهدوننى أن نعمل على هذا الأساس؟

الجمع : (صائحاً) : نعاهدك .

بزعبول : إذن لننتقل إلى جدول الأعمال يا « إعصار ».

في هذا الوقت ، يتدانى « أنابيب » من « إعصار » يريد أن يتحدث إليه .

إعصار : (« لأنابيب » ناهراً إياه) : ألا يهدأ لسانك لحظة ؟ بحق إله النار صمتاً ، ولتصغ إلى ما يقال .

« أنابيب » ينحنى موافقاً فى غضاضة ، ثم ينتحى ركناً ، ويجلس فى استرخاء ، ولا يلبث أن يسبل جفنيه .

« إعصار » يخرج ورقة طويلة يبسطها أمامه ، ثم يقول :

جدول الأعمال ليس فيه إلا أمر واحد خطير : الزعيم يطلب أن تفوضوا إليه القيام بتجربة جديدة طريفة ، يثبت بها « لبنى آدم » أن الشيطان ليس مصدر الشر ، بل إنه قادر على أن يبعث فى الإنسان الخير كل الخير .

أرقط : فليسمح لى الزعيم أن أقول : إن لهذا الطلب شقين ، الشق الأول : مبدأ التفويض ، والشق الثانى : جعل مبدإ الخير من أعمال الشيطان .

بزعبول : أصبتَ . . .

أرقط : أيرغب سيدى الزعيم فى أن يسير وَفق قانوننا الأعظم ؟

بزعبول : هذا هو مبدئى فى الحكم .

أرقط : إذن ، يجب أن نتفحص الأمر بدقة فى غير تعجل .

سباثك : ولكن الأمر واضح ، وهو كذلك عاجل ، ففيم التفحص والإمهال ؟

زمهرير : ربما كان الأمر كما تقول أيها الزعيم واضحاً ، ولكن الأمور التى تتعلق بالمبادئ العامة ليست من الأمور العاجلة ، وفقاً لما جرى عليه المجلس فى عهوده المتطاولة ، فلندرس ما أنت عارضه علينا دراسة خبرة وأناة .

بزعبول : وماذا فى أن تعدّوا الأمر عاجلا ، فتنظروا فيه الآن ؟

إعصار : لى اقتراح . . .

بزعبول : قل ما عندك .

إعصار : نحيل كل شق من الموضوع إلى لجنة خاصة تتولى إعداد تقرير فيه .

أرقط : أوافق على تكوين لجنتين لدراسة الموضوع .

بزعبول : أما زلتم تتعلقون باللجان ؟

سباثك : اللجان مقبرة المشروعات ، وهذا ما يشكو منه أهل الأرض . . .

هلاهيل : أثبتت التجربة أن اللجان تعوق خطط الإصلاح ومشروعاته .

هنا يستيقظ « أنابيب » ... ويجتهد فى التصفيق متهللا مرحباً بأقوال « هلاهيل » . ينظر إليه جماعة الحزب المحافظ ، فيسكتونه ، فى حين أن جماعة « هلاهيل » تتضاحك متغامزة .

إعصار : (« لأنابيب ») : لأى شىء تصفق يا غبى ؟ إنهم يعارضون فكرتنا .

أنابيب : حسناً . . . حسناً (لا يلبث أن يغفو)

سبائك : شر ما ابتُلى به النظام الديمقراطى كثْرة اللجان .

أرقط : لا يقول هذا القول إلا جاهل مأفون .

سبائك : جاهل مأفون ! ؟

زمهرير : (مشيراً إلى « سبائك ») : أطلب تنحية هذا العضو المشاغب عن المجلس .

هلاهيل : أئذا عرض امرؤ منا رأيه فى حرية ، تطلبون تنحيته ؟

بزعبول : سأمهلكم أسبوعاً . أسبوعاً واحداً لدرس ما عرضته عليكم ، ولى فيكم بعد ذلك رأى .

زمهرير : نشكر للزعيم رعايته للأوضاع الدستورية .

هنا يرى « أرقط » ، يتحدث جانباً فى اهتمام إلى « إعصار » .

سبائك : بذلك نكون قد اختتمنا هذه الجلسة .

هنا يعلو شخير « أنابيب » ؛ فيهزه من بجواره، فيستيقظ مندفعاً فى تصفيق ، وما إن يرى الجمع حواليه يرمقه بنظرات استخفاف وغضب حتى يتمكن فى مجلسه .

أرقط : الجلسة ما زالت مستمرة ... وما فرغنا منه هو الأمر الذى عرضه علينا الزعيم . فلنا أن نفيد من انعقاد المجلس .

إعصار : لا شك أن هيئتنا الموقرة يسرها أن تنظر فى بعض المسائل المهمة ، ولو لم تكن مدرجة فى جدول الأعمال .

أنابيب : (متعالياً بكرشه) : إننا أتينا للعمل لا للرقاد .

لا يلبث أن يطبق جفنيه

بزعبول : العمل خير ، فانظروا ما تريدون .

إعصار : إقرار مشروع القناطر المائية ، لتنظيم الرى فى منطقة « الشروان » الجدباء ، وإمدادها بالماء ، إنه مشروع كبيرٌ نفعه للمملكة .

بزعبول : وإلى من تكلون هذا المشروع ؟ من يقوم ببناء هـــذه القناطر العظيمة ؟

أرقط : (يتقدم فى حماس) : ليس فى المملكة أيها الزعيم من

يستطيع النهوض بهذا المشروع غير السيد « إعصار »

بزعبول : حسناً . . . حسناً . ولكن . . . يجب أن نحيل المشروع إلى لجنة .

إعصار : لجنة ! ولم ؟

أرقط : يجب البت فى الموضوع الآن .

سبائك : وفيم العجلة ؟

إعصار : لأنه أمر يفوق فى خطره كل أمر ، إذ هو وثيق الصلة بصالح المملكة .

هلاهيل : أوثيق الصلة هو حقاً بصالح المملكة ؟ أم بصالحكم أنتم الثلاثة ؟

تشير إلى « أرقط » ، و « إعصار » ، و « زمهرير »

إعصار : (صائحاً) : ما هذه الأقوال الجارحة ؟ إنى أعلن استنكارى لهذا التهجم .

أنابيب : (مستيقظاً صائحاً) : نعم . نستنكر بشدة .

لا يلبث أن يغط فى نومه

بزعبول : لقد عرضت عليكم مطلبى فى شأن الإصلاح ، وهو أمر كما ترون عظيم ، فلم تطوع لكم أنفسكم أن تنظروا فيه ، بل رأيتم إحالته إلى لجنتين تدرسانه . وسوف تطول

لحاكم ، وتمتد أظفاركم ، قبل أن تَبُتّوا فى شأنه .

أرقط : ما فعلنا إلا ما يمليه علينا نظامنا المقرر .

زمهرير : أوضاعنا تنص على هذا الإجراء الذى طالبنا به .

بزعبول : لست مخالفاً لكم نظمكم وأوضاعكم ، ولكنى مُنْظِركم أسبوعاً ترون فيه رأيكم ثم يكون لى من بعده قول فصل .

زمهرير : أما مشروع القناطر فإنه مستوجب الأخذ فيه منذ الآن، لخير المملكة . . .

هلاهيل : حقًّا ، لخير المملكة . . . اسمعوا يا كبراء الأبالسة ، إن الذى سيفيد من بناء القناطر هو « إعصار » ، فإنه الطامح إلى القيام ببنائها ، وله من وراء ذلك كسب عظيم . وأما الذى سيفيد من تيسير الرى بعد إقامة هذه القناطر فهما السيدان المبجلان : «أرقط»، و«زمهرير» ، فمنطقة « الشروان » الجدباء ليست إلا إقطاعية عظيمة لهذين السيدين . . . أهذا خير المملكة فيما ترون ؟ !

استنكار صاخب يبديه جماعة المحافظين .
تهلل وتصفيق بين جماعة « هلاهيل»

بزعبول : صمتاً يا قوم ! . . . . . الأمر الذى فيه خير المملكة تلقون به إلى لجنة ، لكى تقتله بحثاً كما يقول أهل الأرض ، حتى لا تقوم له قائمة . أما الأمر الذى فيه

مصلحتكم الشخصية فأنتم مسارعون إلى إنجازه فى سرعة البرق . . . ما برِحتم كما أنتم !.. قلت لكم وما زلت أقول : أصلحوا من أمر نفوسكم تنفعكم قوانينكم ، وتجرّدوا من أهوائكم تستقم أموركم . . .

« هلاهيل » ، و « سبائك » ومن معهما يصفقون .

الآخرون متذمرون .

يستيقظ « أنابيب » مصفقاً بعد ذلك فى جلبة فيسكته رفاقه .

أمَرْنا بوقف أعمال المجلس ريثما يتم إصلاحه على نهج جديد ، لكى يتطهر أعضاؤه من أهواء نفوسهم ، فنراهم يُعلْون الصالح العام على الصالح الخاص !

يرفع « بزعبول » المرزبة ، ويلوح بها فى وجوه الجمع ، فيتكمشون أمامه طائعين . .

الفصل الثانى

على ظهر الأرض فى أطراف الوادى الأجدب .
برج سحرى للشياطين ، عن كثب من بحيرة « الأجاج » .
ثغرة فى الصدر ، يبدو خلفها ماء البحيرة ، وتتراءى
منها سحب تتعاقب .
« خلوب » القهرمانة ، مع « زفاف » مساعدها .
« زفاف » يروح ، ويجىء ، متطلعاً . من
الثغرة ، ضيق الصدر ، يزفر .

زفّاف : (يعقد ذراعيه أمام « خلوب ») : أف . . . أف .

خـَلوب : ما هذاالوجه الجهم أيها السيد « زفاف » ؟ !

زفاف : ليس من المستغرب أن يكون وجهى على ما وصفت يا سيدتى القهرمانة « خـَلوب» ، بل إنى لأعجب كيف لا يزداد جهامة ؟

خـَلوب : إنك سريع الاهتياج .

زفاف : ألا يحق لى أن أهتاج ، وقد طال انتظارنا للسيد الرسول؟ لقد أُمـِرنا أن ننتظر ، وإنا منتظرون . . . كم لبثنا من الوقت على هذه الحال ؟

خلوب : خفف من غلوائك يا سيدى « زفاف»... عما قليل يأتى رسول زعيمنا «بزعبول» . أتراك ضائق الصدر بالانتظار ،

أم أنت ضائق بحياتك هنا معى على ظهر الأرض ، فى معزل عن موطننا الأصيل ، موطن الشياطين ؟

زفّاف : إن طاب لك قول الحق صارحتك بأنى ضائق بالأمرين معاً . . .

خلوب : ولكن انتقالنا إلى الأرض وسكنانا إياها ، شرف لنا أى شرف ، فإن « بزعبول » العظيم ندَبنا للإشراف على تنفيذ تجربته العظمى .

زفاف : حقاً . إنه لشرف عظيم لنا أن نعاون الزعيم فى تجربته ، ولكن ماذا أنا مفيد من هذا الشرف العظيم ؟

خلوب : سمعت أنهم سيمنحونك « وسام الثعابين » الأكبر .

زفاف : أية ثعابين ، يا سيدتى ؟ . . . وما انتفاعى بذلك الوسام الأكبر ؟

خلوب : أتستهين بهذا التشريف يا « زفاف » ؟

زفاف : دعينى من شىء لا يغنى من جوع ولا يروى من ظمأ .

خلوب : ما أحقر أمانيك يا سيدى « زفاف » !

زفاف : تحتقرين أمانىّ ؟ فليكن ما تشائين ، فما يقع لى ذلك ببال . . . قصارى ما يعنينى أن أصيب كسباً ليومى ، ونفعاً فى غدى . . . لقد أعددت مشروعاً جليلا كنت أزمع تقديمه إلى « مجلس التشريع والأحكام » . . .

خلوب : أى مشروع تريد ؟

زفاف : أن يستبدلوا بالأوسمة الشيطانية عطايا ومكافآت . . . أقصد الضياع والقصور وما إليها . . .

خلوب : إنى أعلم ما ترمى إليه يا « زفاف » . . . أنت راغب فى امتلاك البقعة الواسعة : بقعة الصحراوات الزُّرْق . . . ولكن لن يتحقق لك هذا المطمح اليوم . ذهب عهد الإقطاعيات الضخمة ، وإن الإصلاح ليقتضى أن تكون الأرض رقاعاً محدودة يمتلكها كثير من الناس . . .

زفاف : أترين ذلك خيراً يا سيدتى « خاوب » ؟

خلوب : وهل فى ذلك خلاف ؟ . . ألم تر ما كان من الاستغلال الطائش ، ومن الغنى الفاحش ؟

زفاف : أى استغلال تعنين يا سيدتى الطيبة القلب ؟ إن الاستغلال قائم منذ الأزل ، ولكنه يتخذ على تعاقب الأزمان شتى الصور والألوان . . . ثمة قوىّ وضعيف ، فلا بد أن يكون ثمة غنىّ وفقر . . . أتطمعين يا سيدتى فى أن يسود عالمنا عدل ومساواة ؟ . . هيهات !

خلوب : إنى أكره منك هذا التشاؤم . . . علينا أن نسعى سعينا ، ونحاول الإصلاح جهدنا . . . ذلك ما بنى زعيمنا عليه عزمه ، وهذا برنامجه .

زفاف : لك ما ترَين . أما أنا فقانع بما أرى . . . ولست محاولا تغيير طبعى . أجدى علىّ أن أحيا وفق غرائزى ونوازعى .

خلوب : يا للضعة . . . يا للحقارة . . .

زفاف : ما أضيع الجدال معك فى هذه الشئون . . .

يتضجر و يزفر

متى يأتى الرسول ؟ لقد أعددنا التقرير منذ وقت طويل . أف . ضاق ذرعى بما أنا فيه .

خلوب : كنت أظن أنك تستمرئ حياة الأرض ، مثوى بنى « آدم » .

زفاف : أتسمّين مثابتنا هذه قطعة من الأرض أيّتها السيدة « خلوب » ؟ أى أرض هذه التى نسكنها ؟ منطقة موحشة جرداء ليس بها من أنيس ! . .

خلوب : آه . . . فهمت . إنك تريد أن تسكن المدن فى صحبة البشر . لقد فتنتك ألوان الحياة هنالك منذ بعثك عميد المستشارين « أرقط » لتحبيب الخمر إلى الناس ، فلم تعد تطيب لك عشرة إخوانك من الجن . . .

زفاف : كبرت كلمة تهمينى بها أيّتها السيدة « خلوب » . . .

خلوب : لقد أوفدوك لتنشر السكر بين الناس ، فلم يخفق

مسعاك ، ولكنك عدت إلينا مخموراً لا تفيق . . . إنى
لأعجب من قوة هذا الآدمىّ على إضلال غيره . . .
قادر هو على أن يفسدنا نحن . . . نحن الشياطين .
بالأمس أرسلوا السيد « سبائك » ليفسد فى الأرض ؛
فعاد إلينا يحمل جرثومة الفساد الأكبر . . .

زفاف : تعنين جرثومة الحب !

يتضاحك

إن « سبائك » ما زال غارقاً حتّى أذنيه فى هذا الحب .

خلوب : وأنت تذهب إلى الأرض داعياً إلى الخمر ، فتعود إلينا
وقد سرت إليك عدواها ، وتمكنت منك جرثومتها .

زفاف : بهتان . . . بهتان . . .

خلوب : (تميل عليه آخذة بيده) : اعترف لى ، ألست بالخمر
ولوعاً ؟

زفاف : يا لها تهمة باطلة ! . . . أقسم لك . . .

مشيراً إلى رأسها

بهذه القرون البنفسجية التى تزين رأسك ، إنى . . .

خلوب : (مقاطعة إياه) : لا أسمح لك أن تقسم بقرونى
البنفسجية . أنت شيطان مداور لا تصارح ، إنك

سكير وحق النار . ولقد نلت جزاء فعلتك ، إذ نفاك عميد المستشارين « أرقط » إلى الغار المهجور . . .

زفّاف : مظلوم أنا وحقك مظلوم . . .

خَلوب : مظلوم ، أو غير مظلوم . . . لقد نالك من العقاب جانب ، ثم عفا عنك السيد « أرقط » من بعد ، وندبك هنا لتصحبنى . . . نِعْمَ اختياره لى !

زفاف : ماذا تنقمين من اختياره ؟ . . إنه اصطفى لك خير من يعينك فى مهمتك على ظهر الأرض . . . أفى ذلك ترتابين ؟ . . . أجيبينى متى نفرغ من هذه المهمة ؟

خلوب : تسألنى متى نفرغ ، ونحن لَمَّا نبدأ ... اعلم أنه ليس من شأننا أن نعلم .

زفاف : زعيمنا الأكبر « بزعبول » صاحب عجائب . . . وما نملك معه إلا الإذعان والتسليم .

خَلوب : إنى شديدة الإعجاب به زعيماً مطاع الرأى ، مَهيب الجانب . . . لقد تيسر له أن ينفذ فكرته ، وأن يظفر بالتفويض الذى طلبه ليزاول التجربة العظمى . . .

زفّاف : يريد إثبات أمر عجَب ، أن الشيطان فى مكنته القيام بغير الشر ، وأنه قادر أن يصنع الخير لبنى البشر . . . أليس هذا أعجب ما وقع فى عالم الشياطين حتى اليوم ؟

يرى جسم على شكل صاروخ كبير ، ينفذ من
الثغرة فى صوت راعب . ينتفض الصاروخ فإذا هو
الشيطان «سرعرع» ولا يلبث أن ينحنى أمام « خلوب »
و « زفاف » .

خلوب ، وزفاف : أنت « سَرعرع » !
سرعرع : أحييكما أبهج تحية .
خلوب : طاب يومك . أين كنت فى غيبتك يا « سرَعرع » ؟
سَرعرع : كنت يا سيدتى فى زورة قصيرة لموطننا الأكبر ، موطن
الجن فى مغاوره السحيقة .
خَلوب : أتترك الأرض دون أن آذن لك ؟ كيف تخليت عن
حراستك ؟
سرعرع : أستميح مولاتى العفو . لقد حملتْ إلىّ الريح نبأ روّعنى .
أخبرتنى أن أبى على شفا هلكة . فاستأذنت رفيقى ،
وانطلقت عجلان لألحق بأبى ، أتزود منه بنظرة وداع .
خلوب : وهل أدركه الموت ؟
سرعرع : لقد أسعف قبل أن يحين حينه ، فتناول جرعات من
ذلك الدواء الجديد « عصارة السموم السليمانية والحوامض
الزرنيخية » ، وما هى إلا أن دبت الحياة فى أوصاله ،
واستقرت روحه بين جنبيه .

زفاف : حسناً . . . حسناً . وما عندك من أخبار وطننا العزيز ؟

سَرعرع : إنه فى هِياط ومِياط . . .

زفاف : كيف ؟

سرعرع : تفجؤه كل يوم منازعات ومجادلات . . . مجالس تنعقد وأخرى تنفض ، لجان تتألف ولجان تُلغى . يا رب الجحيم : نجنا من الكرب العظيم ، نجّ أمة الجان من هذه اللجان ! . . وليت الأمر بنا واقف عند حد . . . إنكما لم تعلما آخر بدعة . . .

يغرق فى الضحك ممسكاً ببطنه :

حقّاً ما أحدثها بدعة . . . أرهفا سمعيكما لى . . .

خَلوب : ماذا ؟

« سرعرع » يتواصل ضحكه و يترنح

زفاف : قل . . . تكلم .

سرعرع : آخر بدعة ، يا خليلى ، هى إنشاؤهم مجلساً سموه « مجلس الأمن » !

زفاف وخَلوب : (يتبادلان النظر فى عجب) : « مجلس الأمن » ؟ ماهذاالخبَل ؟ !

سرعرع : (مؤكداً) : نعم أنشأوا « مجلساً للأمن » .

خلوب : لا أفهم ما الذى يقصدونه « بمجلس الأمن » هذا . . .

سرعرع : إنهم أقاموا هذا المجلس لفض المنازعات بين ممالك الجن وإنصاف دويلاته الصغيرة ، ومنح الحريات لشعوبه التى لم تنل حرياتها . . . وقصارى مهمة هذا المجلس : وقف الحروب وإقرار السلام .

خلوب : إنه إذن لمشروع عظيم .

سرعرع : (ضاحكاً ملء شدقيه) : مشروع عظيم ! . . . حَسْبُ هذا المشروع أنه من صنع « ابن آدم » وتفكيره . وأننا نتلقاه من يد السيد الموقر « سبائك » . . .

خلوب : ما دام غرض المجلس تجنيب الشعب الشيطانى ويلات الحروب ، ونشر السلام فى ربوعه ، فلتكن الفكرة من وحى « ابن آدم » أو وحى « ابن آوى » !

سرعرع : يا سيدتى الطيبة القلب : كان علينا قبل اتخاذ هذه الفكرة أن ننظر ماذا صنع « مجلس الأمن » على ظهر الأرض ، أأدى رسالته حقاً أم أصبح بؤرة تتجمع فيها الضغائن والأحقاد ؟ أخشى أن يكون هذا المجلس كصنوه على ظهر الأرض : خير مستقر تنمو فيه بذرة الحرب وتترعرع !

خلوب : أوضح . . .

سرعرع : لم يكن «مجلس الأمن» إلا مجمع دول كبيرة تتنازع فيما

بينها على ابتلاع الدول الصغيرة باسم المحافظة عليها .

زفاف : المحافظة عليها بابتلاعها ؟ !

سرعرع : نعم . هكذا يفعلون . . . المحافظة عليها فى البطون . وهل هناك مكان آمن من هذه البطون العظيمة ؟

خلوب : ويحهم كيف يحكمون ؟

سرعرع : والآن . بعد أن ابتلعت هذه الدول الكبيرة الأمم الصغيرة ووضعتها فى بطونها بأساليب المحالفات والمعاهدات ، ما زالت الدول الكبيرة تحس الجوع ، فهى تتلفت يمنة ويسرة لتبحث عما تبتلع به ، فينظر بعضها إلى بعض شزراً . وإن كلا منها لتشحذ أسنانها ، وتتلمظ بريقها ، مرتقبة فرصة الوثوب على صاحبتها ، لتشبعها تمزيقاً وابتلاعاً .

زفاف : مدهش !... مدهش !

سرعرع : هـــذا هو « مجلس الأمن » الذى اجتمع على ظهر الأرض ليرفع راية السلام !

خلوب : وبعد هذا يزعمون أننا نحن الذين نوسوس لأهل الأرض بالحروب . قسماً بإله النار ، لو أنصفوا لتركونا وشأننا إبراء لنا من تهمة الإفساد . . .

زفاف : لقد بدأتُ أعتقد أن زعيمنا « بزعبول » على حق فيما فكر فيه وفيما أنفذه .

خـلوب : ليثبت أننا – معشر الشياطين – لسنا مصدر الشر ، وأن علينا القيام بتجربة جديدة هى عمل الخير .

سرعرع : ألا بربك اشرحى لى ما فعله زعيمنا الأكبر فى تجربته العظمى . لا علم لى حتّى الساعة بما كان من أمره .

خلوب : أنت شديد الفضول يا « سرعرع » ، ولكنى أعجب لك ما الذى تبغى أن تعرفه أيها البليد ؟ أتراك لا تدرى نبأ الأميرة « أزاهير » ؟

زفّاف : (وقد أشار إلى الثغرة ، تتراءى خلفها البحيرة والسحب) : انظر يا« سرعرع ».ألا تعلم يا غبىّ ما هذا الذى تشهده حيالك ؟

سرعرع : إنها البحيرة العظيمة المسماة : « بحيرة الأجاج » . لم تكن من قبل فى هذه المنطقة . ولكن زعيمنا « بزعبول » أوجدها من العدم بنفثة من نفثات السحر .

زفاف : والمنطقة التى تحيط بهذه البحيرة ؟ !

سرعرع : منطقة بشعة جرداء ، لا تصلح أن تكون مأوى لشىء ، حتّى الحشرات والهوام . وإنها لقاصية عن العمران ، وقد تخيّرها« بزعبول» على هذا الوضع ليبلغ فيها غرضه المنشود .

خـلوب : أية حكمة فى اختيار زعيمنا « بزعبول » تلك المنطقة على هذا الوضع العجيب لإجراء تجربته فيها ؟ !

سرعرع : هذا مايشق عليّ فهمه . لقد أنفقت طويل وقت أفكر ، فما استطعت إلى الفهم سبيلا .

زفّاف : ما أغباك !

سرعرع : فلنفرض جدلا أنى غبيّ ، ألا يحق للغبيّ أن يستنير ؟ أرجو منكما أن تكشفا الغشاوة عن عينيّ ، وأن ترفعا لى الحجاب عن هذا اللغز العصيّ .

زفاف : أمن العقل أن يجرى « بزعبول » تجربته فى منطقة عامرة بالسكان ، ليلمّ الناس بمشروعه فيفسدوه ، ويحيطوا بتدبيره فيحبطوه ؟

خلوب : ألست تراه قد أقام الأحراس حول البحيرة ، ليحفظها من أعين الآدميين أهل الفضول ؟ ألست أنت بين هؤلاء الأحراس الذين يحفظون هذه البقعة ، ويمنعون أن يقترب منها آدميّ ؟

سرعرع : لقد حاول — مرات — بعض الصيادين الأغبياء أن يقتربوا من البحيرة بغية الصيد ، فأثرنا فى وجوههم الأعاصير العاتية ، حتى جلوا عنها . . . لقد آمن بنو « آدم » بأن هذه المنطقة عليهم حرام . . .

خلوب : من يدرى ؟ ربما عادوا يحاولون الارتياد ، فلزام أن نكون منهم على حذر .

سرعرع : (يهرش رأسه ، فى حيرة) : ولم يخشى الزعيم «بزعبول» على تجربته من « بنى آدم » ؟

زفاف : لأن ربيبته « أزاهير » من بنات الإنس . . .

خلوب : . . . لقد اختطفها الزعيم وما برحتْ طفلة رضيعاً ، اختطفها من كوخ يأوى إليه آدمىّ من معشر الرعاة ، ومالبث الزعيم أن أنزل الطفلة هذه البقعة ، حيث أقام لها القصر البلورىّ الفاخر وسط البحيرة ، وأحاط القصر ببستان يحفل بالطرائف ، ثم نشر السحب فوق سطح البحيرة ، إخفاء للقصر عن العيون .

زفاف : واستقدم لهذه الطفلة السعيدة جمع الحواضن والمربيات ، لينشئنها على أقوم السبل ، ويلقنّها الحكمة والخير ، ويبعدن عنها دواعى الشر ، ويجعلنها بحق جديرة بذلك اللقب الذى أطلقه عليها : « فُضلىَ العذارى » . . .

سرعرع : (مفكراً ، مهمهماً) : وفيم هذا العناء كله ؟

خلوب : (صائحة) : سحقاً لغباوتك !

سرعرع : (صائحاً) : لقد اعترفت جدلا بأنى أغبى أغبياء الجنّ ... ألا يحق لى أن أسأل ؟

زفاف : اسأل سؤالا معقولا .

سرعرع : وهل الغبىّ فى عرفكم يسأل سؤالا معقولا ؟ !

خلوب : ماذا تريد أن تعلم أكثر مما علمت ؟

سرعرع : أريد أن أتبين العلاقة بين ربيبة الزعيم التى يلقبونها « فُضلى العذارى » وبين التجربة العظيمة التى يقوم بها زعيمنا ليثبت للملأ أننا على عمل الخير قادرون .

زفاف : (يرهف السمع لصوت خفى ، هامساً فى انزعاج) : صمتاً . . . صمتاً . . .

يعود إلى إرهاف السمع :

أحس تموجات خاطفة فى الهواء !

سرعرع : (يرتجف وتصطك أسنانه) : تموجات فى الهواء . ماذا تعنى ؟

خلوب : أعنى أن الرسول قادم .

سرعرع : إذن فاسمحوا لى أن أنصرف على الفور . سأعجل إلى مكانى فى الحراسة على شاطىء البحيرة .

خلوب : انتظر .

سرعرع : ماذا أنتظر ؟ . . . أنتظر السؤال والتحقيق ، والقذف بى فى السجن أسفلَ سافلين ؟ لا . . . لا ... دعنى !

زفاف : (هامساً بشدة ، شارعاً قرنيه) : قلت صمتاً .

سرعرع : أطعتُ . . . صمتاً . صمتاً .

زفاف : إن الرسول قادم يقيناً . . . ولكنى أتبينه رسولا له خطره .

سرعرع : (فى خوف بالغ) : ماذا تقصد بأن له خطره ؟

خلوب : أتقصد أنه . . .

زفاف : (يهمس بشدة) : قلت صمتاً .

يرهف قرنيه

سرعرع : أمرك مطاع ، إنا صامتون ، لاننبس .

زفّاف : رسول خطير الشأن . . . قرناى لا يكذِبانني أبداً !

فى هذه اللحظة يهبط « أرقط » من السقف
فى زفيف من الريح ، ولا يكاد يظهر حتى يعدو
« سرعرع » مستخفياً فى خوف

خلوب : السيد « أرقط » العظيم ؟

زفاف : عميد المستشارين . . .

« خلوب » ، و « زفاف » ينحنيان أمام « أرقط »
فى إجلال بالغ له

أرقط : طاب يومكما .

زفاف وخلوب : يومك أطيب يا سيدى العميد .

خلوب : ظننّا أن الرسول من جماعة الرسل المألوفة ، فإذا
بفخامة العميد يقدم هو نفسه !

أرقط : بعثنى الزعيم « بزعبول » لآتى له بنبإٍ يقين .

خلوب : وهل هو فى ريب من شىء ؟

أرقط : كلا . . . ولكنه . . . ولكنه يرغب فى أن أجلو له

حقيقة الأمر بعد عِيان مِنى .

زفّاف : أؤكد لفخامتك ، أَن الأمور تجرى وفق ما رسمه زعيمنا العظيم . وكلنا فى خدمته فانون .

أرقط : سأتحقق ذلك بنفسى ، سأخبُر مدى إخلاصكم فى إنفاذ أمره . . . انصرف يا « زفاف » فطف بالبحيرة طوفة ، وتفقد أبراج الحراسة ، وعد لتنهى إلىّ ما ترى .

زفاف : الطاعة لصاحب الفخامة .

ينصرف « زفاف »

خـَلوب : أثمة ما يثير ارتيابك بشىء يا سيدى المستشار ؟

أرقط : لا . . . لا . . . إن هى إلا شائعات . . .

خلوب : أية شائعات هى ؟

أرقط : يقال إن إنسيـّاً يلمّ بهذه البقعة .

خلوب : أيجرؤ امرؤ على أن يقرّب من المنطقة ؟ لقد أيقن بنو « آدم » أن هذه البقعة تكفـُلها الزوابع العاتية ، وأن الإلمام بها غير مستطاع لأحد .

أرقط : سينجلى الأمر بعد حين . . . أين تقريرك يا « خـَلوب »

« خلوب » تخرج من صدرها قرطاساً تقدمه إليه

خلوب : هاكه يا سيدى المستشار .

يتناول منها التقرير ، ويلقى عليه نظرة خاطفة ، ثم يدسه فى صدره

أرقط : ما أشبه التقارير بعضها ببعض !

خلوب : إنها تصور الواقع أدق تصوير .

أرقط : (يمس لحيته ذات الشعب الخمس) : علمتنى هذه اللحى الخمس التى أنبتها تجارب المئين من السنين ألا أسارع إلى تصديق ما تحويه أمثال هذه التقارير . . . هـذه التقارير ! إنها تقليد آدمى ممقوت ، تسربت عدواه إلينا من البشر .

خلوب : سيدى العميد !

أرقط : اسمعى يا «خلوب» : نحن الآن مختليان ، وكلانا لصاحبه صديق قديم ، ومن حق الصداقة التى بيننا أن نكون صريحين . . . هذه التجربة التى يزاولها زعيمنا العظيم تجربة جد خطيرة ، وأنت تعلمين أنى كنت إزاءها من المعارضين . . . ولكنى الآن أود أن أعرف على الوجه الصحيح ماذا بلغت هذه المحاولة من مراحل التوفيق . أما التقارير فإنى أراها تتغالى فى وصف «أزاهير» - « فضلى العذارى » — تتغالى فى الإشادة بهدوئها ، وصفاء روحها ، ونقاء طويتها !

خلوب : (متحمسة) : هذا هو الواقع يا سيدى العميد ، قسماً بِلِحىَ فخامتك الخمس : إنه لا مبالغة فى الوصف ولا غلو .

أرقط : دعينا من فخامتى ، ومن لحى فخامتى الخمس ، واصدُقينى القول ، وليكن قسمك بما بيننا من ود وثيق .

خلوب : (فى توكيد) : ثق يا سيدى العميد أن كل شىء يجرى وفق الخطة المرسومة . إن « أزاهير » ، منذ هبطت قصرها البلورى وهى طفلة ترضع ، حتّى يومها الحاضر وهى فتيّة فى زهرة الصبا ، لم تقع عينها على رجل . إنها لم تعرف غير المرأة من صاحب وعشير . وإنها تحيا فى قصرها معنا نحن حواضنها ومربياتها ناجية كل النجاة من عوامل الشر وبواعث الألم . لقد أحطناها بجو من الطهر والصفاء ، وغرسنا فى قلبها حب الفضيلة والخير . حتّى أصبحت أعجوبة الأعاجيب . إنها — حقّاً — ملك طهور .

أرقط : « أزاهير » ملك طهور ! . . . أيكون « بزعبول » زعيم الأبالسة ، قد استطاع حقّاً أن يجعل من نسل « آدم » — رمز الشر كله — ملكاً طهوراً ؟ !

خلوب : هذا هو الواقع يا سيدى العميد .

أرقط : أريد أن أجتلى الأمر بنفسى ... اين المرآة السحرية

« خلوب » ترفع الستارة عن مرآة عظيمة فى ركن القاعة

خلوب : ها كها .

أرقط : دعيى أنظر « أزاهير » بنفسى فى قصرها العتيد .

الظلام يتغشى المكان ، المرآة تسطع ، تبدو « أزاهير » فى البستان على متكإ وثير ، مصغية إلى موسيقى هامسة وقد تراءت عليها وضاءة ونقاوة ، ومن حولها الوصائف .

الموسيقى تتزايل ، والظلام يتكاثف ، والستارة تنسدل على المرآة رويداً .

الإضاءة تعود إلى سابق عهدها .

خلوب : ما قول عميد المستشارين فيما رأت عيناه ؟

أرقط : (يخلل بأصابعه لحاه الخمس فى تفكير) : أمر عجيب !

خلوب : لقد نجحت التجربة .

أرقط : هذا ما كنت أخشى . . .

خلوب : مم خشيتك يا سيدى العميد ؟

أرقط : أنتِ لى صديق يا « خلوب » ، وما كتمتك أمراً منذ تعارفنا على عهد الصبا . . . فما أنا كاتمك الآن خبيئة نفسى . إنى لأخشى إن نجحت هذه التجربة أن يكون

فى ذلك قضاء مبرم على كل ما لنا من سمعة وكرامة . .

خلوب : سمعة وكرامة ؟ !

أرقط : أجل سمعتنا وكرامتنا التى طبقت الخافقين ، السمعة والكرامة التى يعرفها المشرق والمغرب لمملكة الجن وشَعب الأبالسة . أليس كياننا يقوم على الشر والإفساد ؟ أوليس الشر صنواً لإبليس ؟ أوليس الإفساد معنى الشيطان ؟ فإذا نزعنا من كياننا هذا الجوهر الغالى فماذا أبقينا لأنفسنا من سمعة وكرامة ؟

خلوب : (مفكرة) : هذا حق . . . ولكن ما رأيك فى أن نعلن على الملإ : أننا أصبحنا أهل استقامة وصلاح ، فنستبدل بالشر جوهر الخير ؟

أرقط : الخير . . . الخير . . . الناس أجمعون يزعمون أنهم يعملون الخير ، وأن البشر على الخير مفطور . . .

خلوب : حقًّا إنهم يزعمون هذا ويغالون فيه ، ولكن أحداً منهم لم يستطع أن يعمل الخير المحض ، ولم يستطع أن يدل على أنه جدير بعمل الخير دون مغنم . فإذا جئناهم نحن بالخير المحض ، وأقمنا البرهان على أننا أهل لعمل هذا الخير بلا رغب ولا رهب ، كسبنا المعركة من بنى « آدم » ، وطارت لنا شهرة جديدة ، يتغير بها وجـــه

الناموس الكونىّ العام .

أرقط : تعنين أن يصبحوا هم الشياطين ، ونصبح نحن الأطهار ؟ هم دعاة الفساد ونحن دعاة الخير ؟ !

خلوب : أليست هذه هى الحقيقة أيها السيد « أرقط » ؟ إن ما يفعله « بزعبول » لا يعدو أن يكون وضعاً للأمر فى نصابه ، وعوداً بالحق إلى أربابه . وإذن تتجلى حقيقة طالما أخفاها بنو « آدم » ، إذ نسبوا إلينا الشر وهم الأشرار ، وجردونا من الخير ونحن الأخيار .

أرقط : هذه هى الحقيقة الكبرى . ولكن ما نفع الجهر بالحقائق الكبرى ؟ التمويه سائد منذ الأزل ، فلندعه على حاله . ما جدوى إرجاع الأمور إلى أصولها الصحيحة ، إذا كان الأمر الواقع هو المعوّل عليه فى التقدير والتدبير ؟ إن العالم العظيم الذى يضم الخلائق كلها من إنس وجن قائم كله على قلب الحقائق ، على الكذب ، على النفاق ، على الخداع . تلك هى العمُد الراسخة التى يقوم عليها مجتمعنا كله . فإذا حاولنا تغيير هذه الأوضاع ، انهار المجتمع ، وخرّ من قواعده . إن بنى « آدم » يشيعون أن يوم القيامة سيحل عندما يتفاقم الشر ويستفحل الفساد ، ولكننى أنا ، أنا « أرقط » عميد مستشارى

« مملكة الجن الأحمر » أقرر : أن يوم القيامة هذا لا يحل بنا إلا يوم تتوضح الحقائق ، وتنمحى آية التمويه والخداع !

خلوب : (مرتجفة) : إن ما تقوله يبعث فى نفسى الخوف .

أرقط : هى الحقيقة يا « خلوب » ... ولما كان قيام الساعة هو أذان بانقضاء دولتنا المكينة ، فعلينا إذن أن نسعى جاهدين لطمس الحقائق ، ونشر الأكاذيب . . . لا تنسى أننا شياطين ، شياطين . . . وسنظل أبداً شياطين ! . .

تنبت له أجنحة يعلو بها وهو يصيح مردداً كلمة « شياطين » حتى يتزايل شبحه من المكان .

خلوب : (مرددة فى اهتياج) : شياطين . . . شياطين !

يقدم « زفاف » فى عجلة واهتياج

زفاف : أين عميد المستشارين ؟

خلوب : (تحدق إليه حيرى ذاهلة) : إنى فى خوف . .

زفاف : أتراك علمت الخبر !

خلوب : أهناك خبر أروع مما أدلى به إلىّ العميد ؟ !

زفاف : ماذا قال لك العميد ؟

خلوب : حدثنى بيوم القيامة ، وأنه أذان بانقضاء دولتنا المكينة ...

زفاف : يا سيدتى « خلوب » أفيقى . . . أين نحن من يوم

القيامة ؟ إن يوم القيامة الذى تتحدثين عنه بعيد جدّ بعيد ، ولكن ثمة يوم قيامة آخر أشد هولا ، وإنه لـوَشيك .

خلوب : ماذا تعنى ؟ . . .

زفاف : أين عميد المستشارين ؟

خلوب : مضى عائداً إلى موطن الجن . . .

زفاف : أحمد لك يا إله النار الأعظم !

خلوب : ماذا وراءك ؟

زفاف : (يتكلم مبهور الأنفاس) : قرر أحراس البحيرة : أنهم لمحوا شبح إنسان جميل ، يرتاد البقعة ، متفحصاً متقصياً . . .

خلوب : إنسان جميل ؟ . . . وفيم ارتياده البقعة ؟

زفاف : ما أحسب أن له بنا حاجة . . . إن هى إلا شهوة التعرف ونزعة الاستطلاع ، تلك الخلة الذميمة التى لم يبرأ منها « ابن آدم » منذ الأزل .

خلوب : لزام أن نأخذ بتلابيبه على الفور .

زفاف : ولكن علينا أن نكتم الخبر ، فلا يذيعه منا أحد .

يقدم « سرعرع » مهتاجاً

« زفاف » يقول له :

ما وراءك من الأخبار يا « سرعرع » ؟

سرعرع : وهل عندى خبر إلا خبر هذا الآدمىّ العجيب الذى لمحوه يرتاد المنطقة ؟

زفاف : ذلك نعلمه . . . أثمة من جديد ؟

سرعرع : لقد لمحت شبحه بعينى رأسى . بعينى رأسى أنا !

زفاف : ألم تأخذ به ؟

سرعرع : ما كدت أعجل إلى ناحيته ، حتى تزايل عنى ، فلم أجد له من أثر . . . لكأنه قد تطاير بخاراً فى الهواء !

خلوب : أكاد أوقن أنك واهم . . . ليس فى هذه البقعة من آدمىّ ، ولا ظل لآدمىّ ، كيف يستطيع أن يتزايل وكأنه يتطاير فى الهواء بخاراً ؟ أظننت أن له مقدرتنا على التزايل والتطاير ؟ أذهب عنك أنه آدمىّ من ماء وطين؟ مهما يكن من أمر فعلينا أن نضاعف اليقظة ، وأن نشتد فى الحراسة . إنى راجعة إلى القصر البلورىّ ، لأتفقد ربيبتى « أزاهير » .

تنصرف من الثغرة طائرة .
« سرعرع » ، و « زفاف » ، يزفران ، ويمسح كل وجهه فى جهد

سرعزع : يا لهذا اليوم النكد !

زفاف : متاعب وهموم يأخذ بعضها برقاب بعض . لقد جف

حلقى وتشقق . علىّ بقليل من ماء الحميم . . .

« سرعرع » يأتى له بابريق .
« زفاف » يجرع منه بعض جرعات ، ثم
لا يلبث أن يمجها .

سرعرع : لماذا تمج الماء من فيك ؟ لقد تخيرته لك من ذوب النار
المصفى .

زفاف : (حانقاً) : لا أجد مَساغه طيباً . . .

سرعرع : هذا ما أستطيع أن أقدمه لك أيها السيد « زفاف » .
ليس عندى سواه .

زفاف : وهل رغبت إليك فى أن تقدم لى شيئاً غيره ؟

يغدو ويروح فى ضيق .
« سرعرع » يتناول جرعة من الإبريق ،
ولا يلبث أن يمجها فى تأفف .

ماذا بك يا سيدى ؟

سرعرع : لا أجد مَساغ الماء يطيب لى . . . لماذا حرمت الخمر فى
مملكة الشياطين ؟

زفاف : لأنها أس المنكرات .

سرعرع : وحق رءوس الأبالسة إنها لأطيب ما يروى من ظمإ . . .

زفاف : (صائحاً) : بل هى أم المساوئ جميعاً .

سرعرع : إن فيها لأمثالى سلوة وغناء . إذا أجهد المرء منا نفسه ، ثم تناول منها جرعة ، راجعه نشاطه . . . ثم لا تسل عن تلك البهجة التى تشيع فى أوصاله حين يدبّ فيها دبيب السكر .

زفاف : (صائحاً) : أمرى إليك أن تكف عن ذكر أم الخبائث ، لقد ثبت ضررها : وأقر المجلس الأعلى تحريمها علينا . . إياك أن تلفظ اسمها مرة أخرى .

تسمع جلبة فى الخارج

اخرج ، وانظر ما شأن هذه الجلبة ؟

« سرعرع » ينصرف . « زفاف » يذرع المكان مهتاجاً ، يجوز بإبريق الماء . يرميه بنظرة حانقة . ثم لا يلبث أن يدفعه بقدمه .

« سرعرع » يقدم عجلا .

ماذا ؟ !

سرعرع : عفريت من الجن ، قُبض عليه متلبساً بجريمة .

زفاف : أية جريمة ؟

سرعرع : إنها جريمة . . . جريمة وكفى .

زفاف : (صائحاً) : قل . . . أية جريمة ؟

رئيس أحراس البرج يقدم ، ومعه ثلة من الأعوان يمسكون بجنى يترنح من السكر .

رئيس الأحراس: (مشيراً إلى الجنى السكران) : لقد ألفيناه ثملا يعربد .
الجنى الثمل: (متمايلا) : أنا ثمل أعربد ؟ . . أتجرؤ يا حضرة الضابط أن تتهمنى بأنى سكران ؟

يلتفت إلى « زفاف » مشيراً إلى قرنيه

وحق هذين القرنين العاليين إنى لم أذق فى حياتى هذا الماء المسمى خمراً !

يكاد يسقط من شدة السكر .
يتدانى منه « زفاف » متفحصاً إياه

زفاف : ما اسمك ؟!
الجنى الثمل : خادمك « طغيان » .
زفاف : من أى عشيرة أنت ؟
طغيان : من عشيرة الفتاكين البواسل .

يكاد يتهاوى

زفاف : استقم فى وقفتك . . .

يحاول « طغيان » أن يتمالك

من أين لك بهذه الخمر التى شربتها ؟
طغيان : أية خمر يا مولاى ؟ . . أجازت عليك فرية هذا السيد المأفون ؟

يشير إلى رئيس أحراس البرج ، فيرفع رئيس الأحراس قبضته فى وجه « طغيان » مهدداً

زفاف : وحق الجحيم لأنزلن بك عقوبتى . إن جرمك هذا يستوجب أن تُزَج ألف ألف سنة فى قمقم صغير .

طغيان : (صائحاً ، متضرعاً) : قمقم ؟ . . . أى قمقم ؟ . . . الرحمة ! . . . الرحمة !

رئيس الأحراس : أيريد مولاى أن ينزل به القصاص من فوره ؟

« زفاف » يفكر فى جيئة وذهوب

زفاف : (لرئيس الأحراس) : انصرف أنت ومن معك الآن . واترك هذا الجانى معى... سأقتص منه بنفسى . منحتك الوشاح الأكبر من « وسام اليقظة » . أما أعوانك فقد منحتهم « أنواط النشاط » . أهنئكم . شددوا الحراسة ، وكونوا عند حسن ظنى بكم .

رئيس الأحراس وأعوانه ينحنون شاكرين وينصرفون

زفاف : (« لسرعرع ») : ألق على هذا الثمل قليلا من « حامض الكبريت الأزرق » ليعود إليه وعيه .

«سرعرع » ينفذ ما أمر به .« زفاف »

زفاف : («لطغيان») : أما زلت ثملا ؟

طغيان : (وقد زال عنه سكره) : مغفرة يا مولاى . . .

سرعرع : (هامساً فى أذن « طغيان ») : إذا أخبرتنى من أين أتيت بالخمر ، تشفعت لك عند السيد العظيم ليخفف عنك العقوبة .

طغيان : إذن لا مناص من الاعتراف !

سرعرع : تكلم واعجل . . .

طغيان : أعترف بأنى قد شربت الخمر .

سرعرع : هذا أمر لم أسألك فيه . . . أريد أن أعلم من أين أتيت بالخمر ؟

طغيان : هى بضع زجاجات سرقتها من حانة آدمية . . .

سرعرع : وهل شربت كل ما سرقته؟... ألم تبق لديك بقية ؟ !

طغيان : (ملتفتاً إلى « زفاف ») : الرحمة . . . الأمان . سأعترف بكل شىء إذا وعدتنى بالأمان .

زفاف : أعدك به . . .

طغيان : لم يبق عندى سوى هذه ...

يخرج من عباءته زجاجة ، فيندفع « سرعرع » إليه ، ويجذبها منه . يتقدم « زفاف » فيتناول الزجاجة من يد « سرعرع » ، متظاهراً بالرزانة ، وينعم فيها النظر لحظة .

زفاف : (« لطغيان ») : لقد وعدتك بالأمان ، وسأفى بوعدى .

« لسرعرع » :

ناولنى هذا الكوب لأرى أى نوع من أنواع الخمر هذا الشراب ؟ لا بد من فحص وتحليل . . .

إظلام لحظات . . . الضوء ينطلق .
يشاهد « طغيان » قادماً ، وخلفه تابعه الخاص « زعرور » .
« زعرور » يحمل قنانى مترعة بالخمر ، يرصها على الأرض .
« طغيان » يعد القنانى ، ويتشم ما تحويه .

طغيان : حسناً . . . حسناً ... يا « زعرور » . . . إنها من الخمر التى لا يدانيها فى حدّتها شراب !

زُعرور : (وهو يمسح جبهته) : أنسيت يا سيدى الأمير تلك المادة السحرية التى جعلناها مزاجاً لهذه الخمر ؟ . . إن سيدى الأمير بلا شك . . .

طغيان : صه . ولا تلقبنى هنا بالأمير . هذه المادة العجيبة أكسبت الخمر نكهة طيبة منقطعة النظير . . .

زعرور : وإنها لتذهب بوعى شاربها على الفور ، فإذا هو فى سبات عميق . كن على طمأنينة يا سيدى الأمير .

طغيان : نهيتك يا « زعرور » ، أن تجرى على لسانك لفظ

الأمير . . . أنا هنا « طغيان » ، أنتمى إلى عشيرة « الفتاكين البواسل » .

زُعرور : من « الجن الأحمر » . . . هذا مفهوم . وأنا « زعرور » تابعك ، من عشيرة « الجن الأزرق » .

طغيان : ونحن نعمل فى خدمة الزعيم « زفاف » .

زعرور : وهو راض عنا كل الرضا . ما أعجب حالنا : أناس من البشر ، يستخفون فى زى الشياطين !

يحدق إلى الأمير

يالله ! كيف تنكرت سماتك الجميلة فى هذا المظهر البشع ؟ معذرة يا سيدى عما أقول . لقد اتخذتَ لك سحنة من أبشع السحنات . وهذه اللحية . . . اللحية ذات الشعب العشر . . .

يتضاحك مهتزاً ممسكاً بجوانبه

طغيان : أما أنت يا « زعرور » ، فالحمد لله على أننا لم نلق جهداً ولا عنتاً فى سبيل تغيير سحنتك . . . لقد كانت لك بين البشر سيماء العفاريت !

زعرور : ليس فى ذلك ما يضيرنى ، فإنى إذن مستطيع أن أجد لى عملا كريماً فى هذه المملكة العتيدة يلائم مقامى !

طغيان : لا ثرثرة ولا هذيان . . . لم نأت لنضيع الوقت فى

لغو الحديث . . . أول ما يجب علينا أن نذكره هنا أننا من زمرة الشياطين .

زعرور : شياطين أولاد شياطين. اطمئن ، سأذكر ذلك لا أنساه. وهل أنا من البلاهة بحيث أكشف عن سرك وسرى فى هذه البقاع السحرية التى يسيطر عليها الجان ؟ . . . حقًّا لو كشفوا أننا من بنى « آدم » ! . .

طغيان : لا تذكر كلمة بنى « آدم » هنا ، وإلا كان نصيبك . . .

زعرور : أن يشوى لحمى على السفّود . . . أعلم ذلك . . . ولكن ائذن لى أن أقول لك شيئاً : كنت أحسب ، فى سالف أمرى ، قبل أن أعيش مع الشياطين ، أن هذه المخلوقات ماكرة خبيثة ، فإذا بى يتبين لى أنهم لا يَعْدُون أن يكونوا مخلوقات ضعافاً لا حول لها ولا قوة .

طغيان : أتقول إن الشيطان لا حول له ولا قوة ؟ !

زعرور : ألم تستطع أنت يا سيدى ، بحيلتك ومهارتك ، أن تضحك منه ، وتستهزئ به ، فتستّر عنه شخصيتك الآدمية ، شخصية الأمير « زبرجد » العظيم ، وتتخذ لك اسم « طغيان » ، وتبدو فى هيئة شيطان ؟

طغيان : لم أبلغ هذا المبلغ ، إلا بإتقانى الأساليب الشيطانية فى السحر ، وتخرجى فى كنف عميدة السواحر « نكباء »

زعرور : ما أعظمك وما أروعك يا سيدى الأمير « زبرجد »

مستدركا فى عجلة :

بل يا سيدى « طغيان » . . . ولكن . . . ولكن فيم كل هذا ؟ . . . فيم تعرض نفسك لهذا الخطر الجسيم ؟ !

طغيان : حقًّا لا أدرى !

زعرور : أليس من دافع يحدوك على هذا العمل ؟ أليس من غاية تريد أن تبلغها ؟

طغيان : أتحسب يا « زعرور » أن لكل إنسان غاية ينشدها فيما يقبل عليه من مخاطر ، وما يتجشمه من صعاب ؟

زعرور : أوضح يا سيدى ، فإنى لا أفهم ما تعنى . . .

طغيان : ربما ألقى المرء نفسه فى أعظم مخاطرة ، لا لشىء إلا لنزوة طارئة . . . إنه ليجد نفسه مسوقاً فى طريقه ، لا إرادة له فى ذلك ولا خيرة ، يدفع خطاه باعث خفى مجهول . . . حقًّا إن نفس الآدمىّ لهى لغز الألغاز !

يصمت هنيهة ، ثم يستأنف قوله :

ولكن . . . هذا هو الإنسان ، وتلك ميزته التى تفرق بينه وبين خلق الله أجمعين . . .

فترة صمت ، ثم يعاود الكلام مناجياً نفسه :

لماذا أتيت هنا ؟ . . . لماذا أنا مقبل على هذه المخاطرة الطائشة ، لا أبالى العواقب ، ولا أخشى التبعات ؟

زعرور : أجل : لماذا . . . لماذا ؟ !

طغيان : أتيت هنا مع الصيادين مرات ، فأحسست أن المكان يسوده جوّ من الأسرار ، وتشيع فيه ألوان من الغرائب .

يشير إلى الثغرة وخلفهما تتراءى السحب :

إنها سحب أكاد أحسبها جامدة !

زعرور : الحق أنها تمرّ يا سيدى . . .

طغيان : نعم تمر فى تباطؤ . . . هذا صحيح ، ولكنها لا تنقشع أبداً . . . إن المنطقة وسط البحيرة ، وهى دائماً مغشّاة بالسحب . . . ليت شعرى ماذا تخفى هذه السحب المتلاحمة ؟ !

يسمع صوت أشبه بمروق شىء فى الهواء

صه . . . فإننا على وَشْك استقبال . . .

يقدم « زفاف » ، ومعه « سرعرع » هابطين من الثغرة

زفاف : أنت هنا يا « طغيان » ؟

طغيان : قدمت وفق موعدنا المضروب أيها الزعيم .

« زفاف » يخلع عباءته وخفه ، ويسلمهما إلى
« طغيان » . « سرعرع » يخلع عباءته وخفه ، ويسلمهما
إلى « زعرور » . « طغيان » ، و « زعرور » يضعان
الملابس فى كن حريز

زفاف : إنى أجدك – يا « طغيان » – شيطاناً نشيطاً ، تنهض
بعملك خير نهوض .

طغيان : حسبي من الزعيم هذا الرضا ، وإنى به لفخور . . .

سرعرع : (« لزعرور ») : وأنا معجب بك أنت أيضاً أيها
« الزعرور » وإنى أمنحك رضاى ، بالرغم من غباوتك !

يقول ذلك فى إمرة وتنفخ

زُعرور : رضا مولاى « سرعرع » هو كل ما أبغيه فى الحياة .

يبدى أمام « سرعرع » ألواناً من التلوى
والانحناء ، مجتهداً فى إظهار الخضوع والتجلة ، حتى
ليكاد ينقلب على ظهره .

سرعرع : حسبك . . . حسبك . . . أعرف إخلاصك وتمجيدك
لمقامنا الكبير !

« زفاف » يعتلى أريكة فخمة عالية ،
يتمدد عليها ، يخاطب « طغيان » الماثل أمامه فى
احتشام وتوقير :

زفاف : إيه يا « طغيان » . . . والمهمة التى من أجلها بعثت بك

إلى الأرض ، أأصبت فيها توفيقاً ؟

طغيان : (وقد تدانى من « زفاف » هامساً) : كل التوفيق ، أيها الزعيم . . . لقد أحضرت القوارير معى ، واجتهدت فى إخفائها عن الأنظار ، فلم يدرك أحد الحراس من أمرها شيئاً .

زفاف : (متضاحكاً) : يا لك من ماكر جسور ، وحق إله النار لأمنحنك « وسام الثعابين المرقش » ! . . .

طغيان : زدت يا مولاى من عظمة ومجد .

زفاف : والآن جئنا بشىء مما أتيت به ، لنخبر ذوقك فى الاختيار . . .

يهرع « طغيان » إلى إحدى الزوايا ، فيرجع بقارورة ملئت بالخمر ، وما هى إلا أن يقدمها إلى « زفاف » فيكرع منها ، على حين يتحدث إلى « طغيان » حديث ملاطفة وإيناس فى صوت مخفوض .
« سرعرع » فى أثناء ذلك يتمدد هو الآخر على حشية بسطها له « زعرور » ثم يتبادلان حديثاً خاطفاً ، فنرى « زعرورا » قد أحضر قارورة أخرى من الخمر ، وجعل يسقى « سرعرعاً »

سرعرع : حقاً . . . إنك لمن أمهر السقاة . ولكن هذا لا ينفى أنك نادرة الأغبياء . . . اعترف بذلك يا « زعزوع » !

زعرور : من يكون « هذا الزعزوع » أيها الزعيم ؟

سرعوع : أليس هو اسمك ؟ !

زعرور : اسمي « زعرور » أيها الزعيم .

سرعوع : (وقد جرع من الخمر جرعة وافية) : زعزوع . زعرور . بعرور . فليكن اسمك ما يكون !

زعرور : حقّاً فليكن ما يكون .

يتضاحكان

طغيان : (« لزفاف ») : عجيب ماأخبرتني به أيها الزعيم : القصر البلوري . . . فُضْلى العذارى « أزاهير » . . . تجربة الخير والفضيلة . . . يا لإله النار من عظمة « بزعبول » !

زفاف : (وقد تثاقل لسانه) : ذلك سر لا يعرفه إلا زعماء الأباليس . . . وقد أفضيت به إليك ، لثقتي بك . . . حذار أن تبوح به لأحد !

رأس « زفاف» يسقط على الوسادة بلا حراك .
« طغيان » ينظر إليه ملياً ، فيجده قد غشيه سبات . يهزه في لطف فلا يتحرك . يهزه بشدة فلا يستجيب .
« سرعرع » تملكه غيبوبة ، كغيبوبة « زفاف »
« زعرور » يهز « سرعرعاً » فلا يتحرك .
يمسك بذيله ويعضه فلا يستجيب .

طغيان : لقد غرقا فى سبات عميق لن يُفيقا منه إلا بعد ساعات طوال . . . هيّا « زعرور » .

زعرور : ماذا أيها الأمير ؟

طغيان : هيّا ، ولنطر .

يتجه إلى الركن الذى وضع فيه ملابس « زفاف » و « سرعرع » فيخرجها . يرتدى عباءة « زفاف » وخفه ، ويرمى إلى « زعرور » بعباءة « سرعرع » وخفه .

اعجل ، والبس كما لبست . ستكون لك خفة الطير ، لا تهاب الرياح .

زعرور : (يلبس على كره) : إلى أين تريدنى أن أطير ؟

طغيان : إلى القصر البلورى . . . إلى فُضلى العذارى : « أزاهير » !

« زعرور » يطيع ، مشدوها .

« طغيان » ومن ورائه « زعرور » ينفذان من الثغرة طائرين .

الفصل الثالث

مخدع « أزاهير » .

نور ينبعث من قنديل يتدلى بجوار رأس الأميرة النائمة ، وقد ترسلت عليها شعاعة وادعة من ضوء القمر .

وجهها عاجى ، تظهر عليه ابتسامة ثابتة ، كأنها مصنوعة .

باب كبير إلى اليمين ، يسلم إلى مستشرف فسيح . يلوح « طغيان » — وهو الأمير « زبرجد » — فى عباءة « زفاف » ، وخفه . يتقدم فى حذر ، وهو يتلفت متفحصاً ما حوله .

« زعرور » يدلف خلف « طغيان » وهو فى ملابس « سرعرع » ، مبعثراً نظراته فى ترقب وخشية

طغيان : (ناظراً إلى « أزاهير » من بعيد . يهمس « لزعرور ») : إنها فى سبات عميق .

زعرور : أما أطلقنا البخور السحرى فى القصر كله ، فنام جميع من فيه بلا إبطاء ؟

طغيان : أعطنى مسحوق الانعاش .

« زعرور » يخرج المسحوق من صدره ، ويناوله « طغيان »

اخرج أنت الآن يا « زعرور » وانتظرنى فى أقصى المستشرف . ولتكن يقظاً تترقب .

زُعرور : أنتظرك وحدى ؟ !

طغيان : أطع أمرى .

زعرور : (منحنياً) : السمع والطاعة ، ولكنى أرجوك ألا تطيل المكث . . . لا تقس علىّ !

« طغيان » يشير إليه إشارة الآمر .
« زعرور » ينصرف مستسلماً .
« طغيان » يمثل وسط الحجرة ، ثم يستدير دفعة واحدة ، فإذا به قد انقلب فى لحظة فتى وسيم الطلعة ، عليه شارة الإمارة ، فاخر الثياب ، يتدانى من « أزاهير » وئيد الخطا . يقف فى منتصف الطريق . يتلفت حوله .

زبرجد : سبحانك اللهم جلت قدرتك . . . تبارك الله أحسن الخالقين . . . أيكون هذا الحسن العبقرىّ إنسيًّا ؟

يخطو قليلا نحو « أزاهير » ثم يقف محدقاً إليها ، يتلفت حائراً متردداً :

لا أدرى . . . فيم قدومى هنا ؟ وماذا أعمل ؟

ينظر إليها :

يا للفتنة الباهرة !

يزداد من المخدع دنواً ، و ينثر حوله مسحوق
الإنعاش . يعاوده التردد والحيرة.

لا . . . لا .

يتقهقر خطوات . . .
« أزاهير » ترفع جفنيها ، وتتنفس

لا . . . لا .

يزداد تقهقره ، فيعثر فى وسادة ، يضطرب فى
وقفته . فيستند إلى خوان بجواره .
تحدث من كل ذلك حركة ، و ينبعث صوت ،
فتنتبه « أزاهير » وتكتمل فيها اليقظة .

أزاهير : (تتكلم بهدوء ، متخذة فى خطابها صيغة التأنيث) : هل
أرسلتك « خلوب » بشىء لى ؟

يلبث « زبرجد » محدقاً إليها وهو صامت
مأخوذ . تتابع قولها ، وهى على حالها فى سكون :

لماذا أيقظتنى ؟

زبرجد : (ينحنى أمامها) : السلام على الأميرة « أزاهير » .

تعلو « أزاهير » برأسها ، فترنو إليه
متطلعة ، ثم لا تلبث أن تطلق ضحكة رقيقة

أزاهير : (وهى رانية إليه ساكنة): إن صوتك غريب ، وأغرب
منه هذه الثياب التى ترتديها . لم أرسلتك « خلوب »

توقظيننى ؟ !

زبرجد : (مقبلا عليها ، كأنه ينجذب نحوها مسحوراً) : لم ترسلنى « خلوب » . . .

أزاهير : لم أرك هنا من قبل .

زبرجد : لست من سكان القصر .

أزاهير : (فى سكينة) : من أنت إذن ؟ !

« زبرجد » يصمت لحظات وهو إليها محدق ، ثم يجد نفسه قد تراجع راغباً فى الفرار . على حين نرى « أزاهير » تغادر المخدع ، وتسير فى خطوات هادئة صوبه . . .
يقف « زبرجد » وقد ملكته الدهشة والحيرة .
تقترب منه « أزاهير » وكأنها تمثال يتحرك .
تنظر إليه متفحصة ثم تطلق ضحكة . تلمس ثيابه

أزاهير : ثياب عجيبة ، ولكنها جميلة ، ستحضر لى « خلوب » ثياباً مثلها بلا ريب !

تخطو إلى المستشرف

لم تخبرينى من أنت ؟

زبرجد : أحتم أن تعلمى من أكون ؟

أزاهير : كلا . ولكن إذا رغبت فى التحدث إلىّ فى شأنك فسأصغى إليك .

زبرجد : (مندفعاً) : إنى لست من أهل هذه البقعة . .

أزاهير : أأنت إذن من العالم البعيد ؟

زبرجد : (متهللا) : أتعرفين شيئاً عن هذا العالم البعيد ؟

أزاهير : إنه عالم الصخب والشرور .

زبرجد : (مستزيداً) : ثم ماذا ؟

أزاهير : (فى رزانة) : لا شىء .

زبرجد : كيف ؟ أهذا كل ما تعرفين عن العالم البعيد ؟

أزاهير : لماذا تريدين منى أن أعلم أكثر مما علمت ؟

زبرجد : لمجرد المعرفة .

أزاهير : إن المعرفة شاسعة ، والمجهول عظيم . وما ينبغى لنا أن نحاول الإلمام بكل شىء . . . إنه خارج عن نطاق المستطاع . . .

زبرجد : ولكن ثمة أسرار طريفة ينطوى عليها هذا المجهول العظيم ، وربما استطعنا أن نحيط بها .

أزاهير : مبلغ ما نصل إليه تافه ضئيل . وسيظل المجهول مجهولا إلى الأبد .

زبرجد : ما نصل إليه لا يخلو من نفع ، ولعله يسلمنا إلى غير التافه الضئيل .

« أزاهير » تطوف بالحجرة فى خطا متزنة ، ومشية صلبة ، وتتابع حديثها فى لهجة شيخ وقور

أزاهير : وهْم ما تقول . . . الكشف عن هذا المجهول ربما يؤدى بنا إلى ألوان من الشرور . . .

تنظر إلى قلنسوته . تشير إليها :

ما هذا ؟

زبرجد : قلنسوة .

أزاهير : ماذا ؟

زبرجد : لباس للرأس .

أزاهير : ولماذا تضعين على رأسك لباساً ؟

زبرجد : (مفكراً) : لماذا أضع على رأسى لباساً ؟ . . . لقد نشأت أتخذ هذه القلنسوة على رأسى ، دون أن أسأل ما نفعها ؟ ولا بد أنها لحماية الرأس .

أزاهير : أترينها ضرورية لتحمى رأسك الآن ؟

زبرجد : ليست ضرورية . . .

أزاهير : إذن ، لماذا تستعملينها ؟

زبرجد : أرجح أنى أستعملها للزينة .

أزاهير : ولماذا تتزينين ؟

زبرجد : لماذا أتزين؟ ! . . . عجيب سؤالك ... !

أزاهير : أترينني قد ضايقتك ؟

زبرجد : كلا . ولكنك منذ حين كنت تتكلمين فى المعرفة وتقولين إنه لا خير فى الاستزادة منها ، وأنت الآن – لكى تزدادى معرفة – تسألينني وتمعنين فى السؤال .

أزاهير : يلوح لى أنى أخطأت .

زبرجد : لم تخطئى ، بل أصبت الإصابة كلها .

« أزاهير » تصمت هنيهة ، وهى تحدق إليه

أزاهير : ألا تخبرينني لماذا تتزينين ؟

زبرجد : لتغدو هيئتى رائقة .

أزاهير : تعنين أن هيئتك بلا زينة غير رائقة ؟

زبرجد : ربمـــا . . .

أزاهير : إذن هذه الزينة خداع وتغرير . . .

زبرجد : (مبتسما) : ربما كانت لوناً من الخداع والتغرير .

أزاهير : إن الخداع والتغرير شر جسيم .

زبرجد : (متوسما إياها ، ملاطفاً يدها) : « أزاهير » !

أزاهير : ماذا ؟

زبرجد : أراك تتحدثين عن الشر ، فهل تعرفين ما الشر ؟

أزاهير : هو شىء ردىء كريه .

زبرجد : أأنت أتيت الشر لتفهمى كنهه ؟

أزاهير : لم آته قط .

زبرجد : إذن أنَّى لك أن تعرفيه ؟

أزاهير : إنى أعرف الخير ، والخير ضد الشر ، وحسبى بالخير معرفة . . .

زبرجد : وكيف عرفت الخير ؟ ومن أين لك العلم بأنه خير ؟

أزاهير : لقد علمتنى إياه « خلوب » ، وشرحته لى أيَّما شرح ، وفقهتنى فيه أيَّما تفقيه ، فأصبحت به خبيرة بصيرة . .

زبرجد : أمعرفتك بالخير الذى علمتك إياه « خلوب » ، مغنية لك فى فهم الشر ، والتمييز بينه وبين سواه ؟ !

أزاهير : وهل فى ذلك ريب ؟

يقترب منها ، ويدنى وجهه من وجهها ، ثم يقتبس قبلة من فمها

زبرجد : (رانياً إليها فى شغف) : أمن الخير هذا أم من الشر ؟

تلبث « أزاهير » صامتة .
« زبرجد » يقتطف من فمها قبلة أخرى

أجيبى : أمن الخير هذا ، أم من الشر ؟

وجه « أزاهير » يختلج

أزاهير : (متدانية منه) : ماذا بعثك على أن تفعلى ذلك ؟

زبرجد : إعجابى بك .

أزاهير : أنت معجبة بى ؟

زبرجد : لقد سحرتنى فتنتك يا « أزاهير » . . . أنت رائعة الجمال .

ابتسامة يسرى فيها شىء من الحرارة تغزو وجهها

أزاهير : أنا رائعة الجمال ؟

زبرجد : أما تعرفين أنك فاتنة جميلة ؟

أزاهير : وما الجمال ؟

زبرجد : الجمال ضد الدمامة .

أزاهير : وما الدمامة ؟

زبرجد : ضد الجمال !

أزاهير : أنت تعبثين بى ؟

زبرجد : ألم تقولى منذ هنيهة إن كل شىء يتميز بضده ؟

أزاهير : ألا يسعك أن تريني شيئاً دميماً ؟

زبرجد : (يتلفت حوله) : هنا كل شىء جميل . . . مع الأسف . . . !

يضرب رأسه بيده متذكراً أمراً :

انتظرى لحظة .

يخرج إلى المستشرف فيعود مصطحباً « زعروراً »

ما رأيك فى هذه السَّحنة ؟

أزاهير : (متأففة): لا تروقنى .

زبرجد : أجميلة هى ؟

أزاهير : لا .

زبرجد : إذن ماذا تكون ؟

أزاهير : غير جميلة .

زبرجد : (« لزعرور ») : عد حيث كنت ، وشكراً لك على ما أسديت إلينا من خدمة !

« زعرور » ينصرف صامتاً ، تملكه الحيرة والدهشة

أزاهير : ولكنك لم تخبرينى : ما الجمال ؟

زبرجد : أنت تشاهدينى أمامك الساعة ، وقد شاهدت منذ لحظة تابعى . فماذا أحسست نحوى؟ وماذا أحسست نحوه ؟

أزاهير : طاب لى منظرك ، وتقززت من منظر تابعك .

زبرجد : حسن . . . إذن فالجمال ما يبعث الرضا والارتياح ، فتهواه النفس .

أزاهير : إذن كل ما هو حولى تهواه نفسى ، فيبعث فيها الرضا والارتياح ؟!

زبرجد : أليس هذا ما تحسينه هنا ؟

أزاهير : ما أحسه . . . ما أحسه ؟ !

زبرجد : أجل . ألا تحسين الرضا والارتياح هنا ؟ . . إن حياتك كلها طمأنينة ورخاوة بال .

أزاهير : (بعد صمت حائر) : جمال . . . رضا . . . ارتياح . . حقـًّا . . . حقـًّا . . . ولكن . . .

زبرجد : ولكن ماذا ؟

أزاهير : (تائهة النظرات) : ولكنى لا أحس شيئاً مما تقولين . . .

زبرجد : كيف لا تحسين الرضا والارتياح ؟

أزاهير : أكُل ما هنا يبعث حقـًّا على ذلك الرضا والارتياح ؟

زبرجد : وهل فى ذلك جدال ؟

أزاهير : (فى استسلام) : إذن : أنا فى رضاً وارتياح .

تفكر لحظة

أصارحك القول ، إنى لا أحس هذا ولا أتبينه فى وضوح .

زبرجد : ذلك لأن الشىء لا يدرك إلا بضده !

أزاهير : لماذا لا يحضرون لى أشياء دميمة هنا ؟

زبرجد : يلوح لى أن الدمامة من خصائص الشر . . .

أزاهير : إذن فالشر لازم لمعرفة الخير .

زبرجد : أحسب ذلك !

أزاهير : وهل الدمامة موفورة فى العالم البعيد ؟

زبرجد : العالم البعيد يحفل بشتى الألوان ، من جميل ودميم، ومن خير وشر

أزاهير : (مضطربة الأنفاس شيئاً ، تحد بصرها فيه) : ألا تحدثينى حديث العالم البعيد ؟

زبرجد : وربما أريتك إياه يوماً . . . أما الآن . . .

يمسك بيدها ملاطفاً فى حنو

الآن أريد أن أحدثك عن نفسك .

يرنو إليها متوسماً فى شغف

أنت رائعة الجمال يا « أزاهير » . . . رائقة ، كأنفاس الصبح ... بهيجة ، كورد الربيع !

يصمت

أزاهير : ماذا ؟ . . تكلمى !

زبرجد : أراك حتى الآن تخاطبيننى بصيغة التأنيث ، كأنى مثلك !

أزاهير : ماذا تعنين ؟

يصمت « زبرجد » ، رانياً إليها ، فتواصل « أزاهير » الكلام :

قولى . . . تكلمى . . . ماذا تقصدين بأنى مثلك ؟

تمسك بيده ، وما أن يهم بالقول حتى يدخل
« زعرور » مهرولا مهتاجاً .

زعرور : سيدى . . . أسمع همساً وحفيف أجنحة خفافيش !

أزاهير : (مزورة عن « زعرور ») : لا أطيق رؤية هذا الدميم

زبرجد : (« لزعرور ») : ألا تسمع ؟ انصرف .

« زعرور » ينصرف ، وهو يتضرع إلى
« زبرجد » بأن يعجل إليه .
« زبرجد » يقول « لأزاهير » :

أرى أن زيارتى قد طالت . . . اغفرى لى أنى أغرت
على وقت نومك . . . إيذنى لى أن أنصرف . . .

أزاهير : ومتى تعودين ؟

زبرجد : أفى حاجة إلىّ أنت ؟

أزاهير : لأستزيد منك معرفة ، ولتحدثينى حديث العالم البعيد ،
هذا العالم المجهول . . .

زبرجد : ربما عدت إليك ، وربما لا أعود . . .

أزاهير : كيف لا تعودين ؟

زبرجد : إذا استعصى علىّ الأمر ، فلا عود . . . وداعاً !

يتهيأ للانصراف

أزاهير : ابقَ . . . ابقَ .

زبرجد : لمـــاذا ؟

أزاهير : تعالى . . . اقتربى منى .

« زبرجد » يقترب منها .
« أزاهير » تدنى وجهها من وجهه . تقول فى
صراحة ساذجة :

افعلى ما فعلته منذ قليل . . .

زبرجد : مـــاذا ؟

« أزاهير » تشير إلى فه وفها . . . تتدانى منه
« زبرجد » يهبط على فمها مقبلا إياها قبلة عامرة

أزاهير : حدثنى عما فعلته . . . إنه شىء جميل !

زبرجد : قَبَّلْتُكِ قبلة .

أزاهير : وما القبلة ؟

زبرجد : القبلة وصلة بين روحين .

أزاهير : وكيف تصل القبلة بين الروح والروح ؟

زبرجد : الشفة قناة تعبرها الروح لتستقبل ما تألف من روح ،
فإذا تلاقت الشفاه تواصلت الأرواح !

أزاهير : زيدينى من هذه القبلة ، وصلى بين روحى وروحك .

يقبلها فى هيام .
يبدو « زعرور » قلقاً مضطرباً . يفاجأ بما يرى .
فيتقدم لينبه سيده .

الأمير مسترسل فى تقبيله .
« زعرور » يحاول إنباه سيده تارة بأن يسعل ،
وتارة بأن يخفق بقدمه ، ولا يملك أخيراً إلا أن يجذبه
من ثوبه ، ولكن سيده لا يلقى له بالا .
« زعرور » يجلس فى يأس واستسلام

زعرور : (ضارعاً إلى الله ، صائحاً) : رفقاً بحالنا يا رب . . .
بل رفقاً بحالى أنا وحدى . . . !

إظلام
إنارة بعد قليل .
« أزاهير » فى حجرة مخدعها تتهيأ للنوم . . .
« أزاهير » تتطلع إلى المستشرف ، حيث القمر
يغمر بضوئه الحجرة .
« خلوب » فى الركن الآخر من الحجرة تجلب
بعض الأغطية .

أزاهير : (مهمهمة تناجى نفسها) : يا له من حلم طريف . . .
أ أحظى بقدوم الزائرة – الليلة – كما حظيت بزيارتها
ليلة أمس ؟

خلوب : (وقد ترامت إلى أذنها همهمة « أزاهير » دون وضوح) : ماذا
تقولين ؟

أزاهير : أتحدث إلى نفسى !

خلوب : (وقد عادت إليها بغطاء) : وماذا كنت تحدثين نفسك به ؟

أزاهير : (بعد فترة تردد) : إنها دعوات من تلك الدعوات التى لقنتنى إياها . . .

خلوب : حسناً . . . هذه دعوات مباركة ، وهى تزيد من صفاء نفسك . . . لا تملّى تردادها . . . إنك فى حاجة إليها الليلة . . . الليلة على وجه خاص !

أزاهير : ولماذا ؟

خلوب : لاحظت أن بعض القلق يساورك . . . إنك منذ الصباح تلجّين فى أسئلة على غير ما ألفت منك . . .

أزاهير : ولكنك لم تروى لى غلة . . . سألتك سؤالا لم تجيبيى عنه وأعدت السؤال مرات ، فلم أظفر منك بقول فصل .

خلوب : (كأنها تناجى نفسها) : سؤالك : كيف تستطيعين أن تميزى بين ضدين أنت تجهلين أحدهما ؟

أزاهير : أجل ، كيف أعرف الشر ، وأنا لا علم لى بالخير ؟

خلوب : ولكن هذا أمر فرغنا منه يا بنية ، ألم يقنعك قولى : بأنه عزيز علينا أن نجرب كل شىء حتى نصل إلى حقيقته؟ لا يفوتنك أن قيامنا بالتجربة ربما ورّطنا فى خطر جسيم.

أزاهير : ولكن . . . أليس فى التجربة فائدة ؟

خلوب : أية فائدة يا « أزاهير » ؟ لقد جرب الخلق قبلنا ما جربوا دهوراً متلاحقة ، حتى استنفدوا التجارب ، فلم يبق علينا نحن إلا أن نستمرئ عصارة ما جربوا ، دون أن نصلى نار التجريب من جديد .

أزاهير : . . . إن تجربة الشر تبعث فى النفس شيئاً من الاهتياج.

خلوب : الاهتياج ؟ ؟ من علمك هذا يا « أزاهير » ؟ !

أزاهير : نفسى علمتنى إياه !

خلوب : (مهتاجة) : أجربت الشر ؟

« أزاهير » تصمت

تكلمى . . . أجيبينى . . .

أزاهير : لقد كذبت ، والكذب شر .

خلوب : (شاهقة فى دهشة) : ولم فعلت هذا ؟ !

أزاهير : أحببت أن أجرب الشر بنفسى .

خلوب : (ضاربة بيدها على صدرها مولولة) : ويحك ! . . . إنها أول مرة فى عمرك النقى تقترفين فيها هذا المنكر !

أزاهير : أيبلغ من الإنكار هذه المنزلة ؟ حسبى أن جربت الشر مرة واحدة ، فذقت طعمه .

خلوب : وإنك لنادمة . . . أليس كذلك؟

أزاهير : الحق أنى لم أستشعر كبير ندم .

خلوب : ويلى مما أسمع ! كان لزاماً أن تشعرى بخطر الفعلة التى فعلتِها وأنت آثمة .

أزاهير : لم . . . ؟

خلوب : للضرر الذى ألحقتِه بنفسك .

أزاهير : ولكنى لم أحس من ضرر .

خلوب : بل لقد نالك الضرر لا محالة ... عليك الآن إصلاح الأمر .

أزاهير : لن أكذب مرة أخرى .

خلوب : هذا ما يجب أن تضعيه نصب عينيك . والآن اعترفى بالحقيقة كاملة ، إن الاعتراف يخفف من وطأة الذنب يا بنية . . . على من كذبت ؟

أزاهير : عليك أنت .

خلوب : أتكذبين علىّ أنا ؟! . . . أنا مربيتك التى أجهدت نفسى فى تعليمك وتهذيبك طوال هذه الأعوام ؟

أزاهير : إن هى إلا كذبة واحدة ؛ كذبة عابرة . . . من العجيب أننى لم أستطع لها دفعاً ، ولم أملك عنها مصرفاً !

تتعالى ضحكتها

خلوب : وإنك لتضحكين أيضاً ؟ . . . كارثة لم تقع لى ببال . .

وأى شيء كذبت علىّ فيه ؟

أزاهير : لما سألتنى الساعة بماذا كنت أهمهم ، أجبتك بأنى كنت أردد دعوات ، مما لقنتنى إياه .

خلوب : والحقيقة؟ . . ما الحقيقة ؟ . . . أسرعى بالجواب . . . أكاد أصعق . . .

أزاهير : خفنى عنك قليلا . لا مسوّغ لهذا كله . . . لقد كنت أناجى نفسى بما رأيت فى منامى من حلم طريف . . .

خلوب : ولماذا لم تقصّى علىّ رؤياك حين جئتك؟ . . . إنك تقصين علىّ ما ترين فى منامك من أحلام . . .

أزاهير : لا أدرى ، وحقك . . . لا أدرى لماذا أبطأت عن إخبارك بحلمى هذا ؟ . .

خلوب : قصّى علىّ الرؤيا . . .

أزاهير : طيف زائرة ، ألمت بى فى نومى ، وحدثتنى حديثاً عجباً .

خلوب : أىّ حديث عجب ؟

أزاهير : لا أذكر منه إلا النزر اليسير . . . لقد كان حديث الزائرة حديثاً عذباً جميلا . . . إنى مجهودة الآن يا «خلوب»

تمسك برأسها :

رأسى علىّ ثقيل . . .

خلوب : (مقبلة عليها فى إلحاح) : ولكن أى عجب فى حديث الطّيْف ؟

أزاهير : كانت الزائرة عجيبة فى زيها، فى حديثها ، فى لهجتها .. عجيبة فى كل شىء !

خلوب : اجمعى شتات ذاكرتك ، واروى لى ما دار بينكما من حديث . . .

أزاهير : (ممسكة برأسها تعتصره) : إنى مصدوعة الرأس . . .

تقدم « زغلولة » التابعة ، حاملة إبريقاً وكوباً . . . .

« أزاهير » توجه الكلام « لزغلولة » :

ما هذا يا « زغلولة » ؟

زغلولة : شراب التوت يا سيدتى « أزاهير » .

أزاهير : أحسنت يا « زغلولة » بإحضار هذا الشراب . . . إنى لفى حاجة إليه ماسة .

« زغلولة » تملأ الكوب ، وتناوله « أزاهير » ، ثم تضع الإبريق على المائدة .

« أزاهير » ترتشف من الكوب وهى تسير هينة الخطا حالمة .

« خلوب » و « زغلولة » ترقبانها فى اهتمام .

« أزاهير » تخطو والكوب فى يدها ، مقتربة من باب المستشرف ، مسرحة بصرها فى عرض الأفق ، تستنشى نسيم الليل فى ارتياح ، وضوء القمر يمرح فى الفضاء . ثم لا تلبث أن تخرج إلى المستشرف مستخفية فيه .

خلوب : (مهتاجة ، « لزغلولة ») : أمر جلل ، يا « زغلولة » .

زغلولة : ماذا ، يا سيدتى « خلوب » ؟

خلوب : نكبة حلت بنا . . . لا نجاة لنا من عقاب أليم . . .

زغلولة : أية نكبة ، وأى عقاب ؟ !

خلوب : (منكبة على « زغلولة ») : أزاهير » . . . « أزاهير » .

زغلولة : ما خطب « أزاهير » ؟ . . .

خلوب : لقد كذبتْ . . . لقد كذَبتْ .

زغلولة : (نائحة تنتحب) : يا للفاجعة . . . يا للفاجعة . . .

خلوب : إنى لأسائل نفسى : كيف يكون وقع هذا الخبر على الزعيم ؟ . أنقضى هذه الأعوام الطويلة نُعلم « أزاهير » الفضيلة ، ونلقنها الخير ، ثم يكون المصير أن تكذب ؟ !

زغلولة : ما علمنا عليها من كذب .

خلوب : لقد اعترفت لى بأنها كذبت مرة واحدة .

زغلولة : لعلها لا تعود لمثلها . . .

خلوب : من يدرى . . . لا تنسىْ أنها آدمية . . . علينا أن نضاعف جهدنا . . . علينا أن نمحو فى نفسها أثر هذه الكذبة الممقوتة !

زغلولة : وعلينا فوق ذلك كله أن نكتم ما فعلتْ ، فلا يعلم به أحد . . !

خلوب : لن يعلم أحد بشيء . كلانا يحفظ هذا السر ، ولا يبوح به لأى جنىّ . . .

تقدم « أزاهير » مشرقة تتضاحك

زغلولة : (وهى تتناول من « أزاهير » الكوب الفارغ) : لعل شراب التوت قد راقك يا سيدتى « أزاهير » .

أزاهير : شراب طيب المذاق ، وقد أتقنت صنعه . أشكر لك عنايتك .

خلوب : أراك تتضاحكين . . . أ أنت الآن أحسن حالا ؟

أزاهير : (ضاحكة) : أراك تحاولين معرفة ما يضحكنى . . .

تداعب خد « خلوب »

أنت شديدة الفضول يا أستاذتى . اطمئنى . سأخبرك بكل شيء . . . عندما خرجت إلى المستشرف ألفيت حمامتين تتخطران على جداره ، ثم انطلقت إحداهما تجرى ، فتبعتها الأخرى تباريها ، وما لبثتا فى مراوغة ومداورة حتى لحقت أخراهما بالأولى . وثمة كان بينهما شيء عجَب . . . !

خلوب : (فى فزع شديد) : ماذا كان بينهما يا بنية ؟

أزاهير : رأيتهما تقفان متواجهتين ، رأساهما متقاربان . . . وشاهدت منقاريهما قد اشتبكا وتلاصقا . . .

خلوب : (فى صوت راعش) : تلاصق منقاراهما ؟

زغلولة : لا شك أن حمامة منهما كانت تسرّ إلى أختها حديثاً . . .

أزاهير : لا . . . لا . . . قلت لك إنى رأيت المنقار على المنقار ، بل رأيت المنقار فى المنقار . . . كان منظراً جميلا يبعث فى النفس بهجة . . .

خلوب وزغلولة : (تهمهمان فى جزع) : يا للهول !

أزاهير : (متابعة قولها فى نشوة حالمة) : كل من الحمامتين كانت تصل روحها بروح الأخرى . . . تسكب الروح فى الروح . . !

خلوب : (مشدوهة ، متلعثمة) : تسكب الروح فى الروح ؟! . . . لست أدرى ماذا جعلك تظنين هذا الظن ؟ وهل يستطاع بهذه الوسيلة أن تتساكب الأرواح فى الأرواح ؟

أزاهير : نعم ، هذا مستطاع . . . على ذلك الوضع يتسنى أن تتواصل الأرواح ، ويمازج بعضها بعضاً . . .

خلوب : يبدو لى يا « أزاهير » أن ذهنك اليوم مكدود . . . لقد جانبك المنطق . . . فأنت تخلطين . . !

أزاهير : ربما كان حقًّا ما تقولين . . . إنى مجهودة بلا ريب ، دعينى أنم . . .

« أزاهير » تعجل إلى مخدعها فتتمدد فيه

خلوب : نامى فى هدوء ، وخلى عنك أثقال التفكير . . . فلتنسى مداورة الحمام ، وتساكب الأرواح ؛ ولتؤنسك يا بنية هانئات الأحلام !

أزاهير : أشكر لك .

تسبل جفنيها
« خلوب » تلاطف « أزاهير » ، ثم تأخذ بيد « زغاولة » منتحية بها ركناً فى الحجرة

خلوب : لا يحوم فى أرجاء الحديقة طير بعد اليوم كائناً ما كان. أسمعت ؟ لا أريد أن أرى هنا جناح حمامة !

« خلوب » و « زغلولة » تنصرفان .
إظلام لحظات . . .
الضوء يعود . . .
« أزاهير » ، فى مخدعها مطبقة الجفنين .
القمر يتلألأ فى الحديقة ، متسللا ضوءه إلى الحجرة . يبدو الأمير « زبرجد » قادماً من المستشرف فى حلة زاهية ، وقد تقلد سيفاً إلى جنبه الأيسر . يقف بباب المستشرف ناظراً إلى « أزاهير »

أزاهير : (فى منامها تهمهم كأنها فى حلم) : تقدمى . . . تقدمى .

الأمير « زبرجد » يتقدم رفيق الخطو

زبرجد : لقد حرصت على الحضور .

أزاهير : (ما تزال مطبقة الجفنين) : لمــاذا ؟

زبرجد : ألم ترغبي فى حضورى ؟

أزاهير : (ترفع جفنيها قليلا) : ألم يكن حضورك إلا استجابة لرغبتى ؟

زبرجد : بل لأراك مرة أخرى ، وأستمتع بهذه الفتنة الساحرة .

« أزاهير » تنهض فى تؤدة ، جالسة على المخدع .

يتابع الأمير قوله :

منذ لقائنا أمس ، لم يبرح خيالك عينى . . . إنه يملأ علىّ أقطار نفسى . . . .

أزاهير : (فى تشوف) : كيف ؟ اشرحى لى ما تقولين . . . وزيدينى بياناً . . .

زبرجد : أعترف لك يا « أزاهير » أنى بك مشغوف .

أزاهير : ماذا تقصدين ؟

زبرجد : إنى أحس لك الشوق إذا بعدت عنك ، وأحس الارتياح إذا رأيتك .

أزاهير : أمر عجيب أجده أنا أيضاً . . .

زبرجد : ماذا ؟

أزاهير : منذ وصلتَ بين روحي وروحك بهذه . . . بهذه . . .

زبرجد : (متمماً) : بهذه القبلة !

أزاهير : أجل ، بهذه القبلة . . . منذ وصلتَ بها بين روحى وروحك ، أحس أنا أيضاً هذا الشوق إذا بعدت عنى ، وأحس الارتياح حين ألقاك . . .

« زبرجد » يقبل عليها ، فتنهض من المخدع . يأخذ بيدها

زبرجد : أحقًّا ؟ أتحسين نحوى هذا الشعور اللطيف؟

أزاهير : وهل يروقك هذا ؟

زبرجد : يروقنى ، بل يسعدنى ...

أزاهير : (تتفحصه فى ابتسام) : حلة جديدة ، ما أزهاها !

تتحسس السيف :

وما ذاك ؟

زبرجد : ذاك سيفى .

أزاهير : عصا تعبثين بها ؟

زبرجد : بل أذيق بها الموت !

يناولها السيف

أزاهير : (تنظر إلى السيف فى يدها) : الموت ! ؟

تقلبه فى يديها ، فتجرده من غمده ، فيلتمع نصله .

زبرجد : حذار . إن هذا السيف رسول الموت الأمين . . .

أزاهير : (ترفع عينيها إلى «زبرجد») : وما الموت ؟

زبرجد : (مردداً فى حيرة) : الموت . . . الموت ضد الحياة .

أزاهير : أوضحى . . .

زبرجد : كل ما هو من خصائص الحى ، من حركة وتنفس ، ومن وحدة جثمانية لا تجدينه فى الميت .

أزاهير : إذن فالموت انقلاب فظيع !

زبرجد : بل تحول هين . تحول يطرأ على المركب فيرده إلى عناصره الأولى .

أزاهير : أشر هو ؟

زبرجد : من يدرى ؟

أزاهير : كيف لا تدرين ؟

زبرجد : قد يكون شراً لابد منه ، أو خيراً لم نفقه له معنى . . .

يأخذ بيدها يلاطفها ، ويطوف بها فى الحجرة . يقع بصره على إبريق الشراب . يقول :

ما هذا ؟

أزاهير : عصير التوت .

زبرجد : أشرابك هو ؟

أزاهير : نعم !

زبرجد : أتسمحين لى أن أذوقه ؟

أزاهير : سأقدم لك كوباً منه .

تترع له الكوب ، وتناوله إياه

زبرجد : (يترشف من الشراب) : شراب سائغ لذيذ . لم أذق مثله فيما ذقت من ألوان الأشربة .

أزاهير : أترينه كذلك يا صديقتى ؟

زبرجد : (بعد صمت) : أنا صديقك لا صديقتك !

يرنو إليها مبتسماً

أزاهير : ماذا تعنين ؟

زبرجد : أتسمحين لى أن أنبهك إلى خطإ تقعين فيه ، وأنت تتحدثين إلىّ ؟

أزاهير : أىّ خطإ تعنين ؟

زبرجد : تخاطبيننى بصيغة التأنيث !

أزاهير : لا أفهم ما تقصدين . . .

زبرجد : إن دنياك التى تحيين فيها كلها دنيا إناث . أما دنياى ففيها الإناث والذكور .

أزاهير : (محدقة إليه ، دهشة) : أبينى ما تقولين ، فإنى لا أفهم منه شيئاً . . .

زبرجد : إن الإنسان يا « أزاهير » نوعان : ذكر وأنثى ، وإنى من

النوع الذى لم تعرفيه فى دنياك المحدودة التى ليس فيها إلا إناث . . .

أزاهير : ولماذا كان الإنسان نوعين : ذكراً وأنثى ؟

زبرجد : لماذا ؟ لماذا ؟ . . . يا الله !

يصمت ، ويهرش رأسه

أزاهير : تريد أن تقول إنك ذكر ، وإنى أنثى ؟

زبرجد : ذلك هو الواقع يا « أزاهير » . . .

أزاهير : إنه ما لم أكن أعلم .

زبرجد : فلتحمدى لى أنى وقفتك على الحقيقة الأولى فى حياة الإنسان .

أزاهير : وأى برهان لك على أنى من نوع غير نوعك ؟ . . .

زبرجد : البرهان أن كلا النوعين يتم بعضه بعضاً ، وأنك حين لقيتنى شعرت بأنك قد وجدت تكملتك بى . . .

أزاهير : ما زال قولك غامضاً علىّ . . .

زبرجد : اسمعى يا « أزاهير » . . . أكانت مربياتك وحاضناتك يقبلنك فيما سلف من أيامك معهن ؟

أزاهير : كن يضعن شفاههن على خدى أو فمى !

زبرجد : حسن . . . أكنت تحسين لصنيعهن ما أحسست حين التقت شفتاى بشفتيك ؟

أزاهير : أصدُقك القول . . . لم أكن أستشعر لقبلات مربياتى وحواضنى ما استشعرت لقبلتك !

زبرجد : ذلك لأنك أنثى وأنى ذكر . . .

أزاهير : ولكنى أريد أن أعرف ما الفارق بين ذكر وأنثى ؟

زبرجد : (فى حيرة) : ألا ندع هذا إلى حين ؟

أزاهير : (فى تحسر) : يبدو لى أنى ضايقتك بسؤالى .

زبرجد : (يأخذ بيدها فيقبلها فى شغف) : كلا ، كلا . . . ولكن دعينى أصحح خطأك . قولى : ضايقتكَ . . . كَ . . . كَ .

أزاهير : كَ . . . كَ . . . ضايقتكَ .

زبرجد : حسن . . . حسن . . .

تقبل عليه «أزاهير» وتطبع على فمه قبلة مفاجئة ، ثم تتراجع حائرة .

أزاهير : (مهمهمة) : يالله ! ماذا صنعت بك ؟

زبرجد : قبلتِنى .

أزاهير : قبلتكَ . . . كَ . . . ولكن ، لماذا . . . لماذا ؟ !

زبرجد : وهل فى الأمر خفاء؟ إنك تحبيننى . . . هذا هو الحب !

أزاهير : الحب ؟! . . . قل لى : ما الحب ؟

زبرجد : الحب : امتزاج بين عنصرين ، بين نوعين . . .

أزاهير : أخير هو ؟

زبرجد : إنه بين نوعى الإنسان شر جميل .

أزاهير : شر جميل ؟ كيف يكون شراً وهو جميل ؟ أيتحد الضدان ؟

زبرجد : (يفكر هنيهة) : حقاً كيف يتحد الضدان ؟

يخرج من جيبه مدية، وسرعان ما يجرح بها بطن كفه ، فينبثق الدم ، فيجمعه فى راحته

أزاهير : (ترقبه فى اهتمام) : ما هذا ؟ !

زبرجد : قطرات من دمى .

أزاهير : دمك . . . ماذا تعنى ! ؟

زبرجد : إنه دمى ، السائل الذى يغذى جسدى.

أزاهير : ولماذا ترينى إياه ؟

زبرجد : لكى تذوقيه . . .

أزاهير : أذوقه ؟

زبرجد : قلت لك افعلى .

أزاهير : (لا تكاد تذوقه حتى تقول متأففة) : ليس بالمستساغ . .

زبرجد : هذا صحيح . . . إنه كريه المذاق .

يمزج ما جمعه من دمه بشراب التوت و يقدمه لها

ذوقيه الآن . . .

يرقبها وهى تشرب :

أليس من الميسور أن يتحد الضدان . . فيكون منهما . . .

أزاهير : (متممة قوله) : مزاج طيب مستساغ . . .

زبرجد : لم تألفى من قبل إلا الخالص المحض ، فأما الممزوج فلا علم لك به . . .

أزاهير : أى خالص محض تعنيه ؟

زبرجد : أعنى أنك تحيين فى الخير المحض ، وتحاطين بالجمال الخالص . . .

أزاهير : وأنت . . . . كيف تحيا ؟ وبماذا تحاط ؟

زبرجد : إنى أحيا فى دنياى البعيدة . . . دنيا الشر الجميل . . .

أزاهير : الشر الجميل ! . . .

زبرجد : إن دنيانا مزاج من الشر والجمال . . . ألا ترغبين فى مشاهدتها ؟

أزاهير : (فى حيرة ونشوة) : الخير . . . الشر . . . الخــير المحض . . . الجمال الخالص . . . الشر الجميل . . .

مندفعة :

عجيب أمر دنياكم هذه . . . أرغب فى مشاهدتها . . . أرغب . . .

زبرجد : تعالى . . . هنا إلى صدرى . . . تعلقى بعنقى . . . تعلقى .

تعتنقه مهتاجة

يلفها فى عباءته السحرية ، ويخرج طائراً من المستشرف قائلا :

إلى موطن الشر والجمال . . . إلى عالم الشر الجميل . . . !

تلتحم شفتاهما فى قبلة مضطرمة

الفصل الرابع

بهو فى قصر الأمير «زبرجد» ، ترف ظاهر ، أنوار متألقة ، جمع حاشد من رجال ونساء يرفلون فى ثياب فاخرة . موسيقى تصدح .

فى الصدر درج ينتهى بباب كبير ينفذ إلى الطبقة العليا من القصر .

فى جانب من البهو تقوم مائدة الشراب، وقد تناثر حولها بعض الجمع . . .

أصوات تعلو بالمناقشات والتحاور .

يقبل السيد «قرنفل» على الأميرة «بنفسج» ابنة عم الأمير «زبرجد» هامساً فى أذنها . يلوح الاهتمام والتطلع على محيا الأميرة . لا تلبث أن تتحدث إلى جارها . . . يتجمع حولها بعض الضيوف . تعمر الحلقة . الحديث يدور بين الجمع فى اهتمام .

الموسيقى تخفت شيئاً فشيئاً .

بنفسج : («لقرنفل») : عجيب أيها السيد «قرنفل» أن يصدق الخبر . . . ستكون مفاجأة عجيبة !

قرنفل : يا سيدتى الأميرة «بنفسج» لقد صدق الخبر . إنها حقًّا لمفاجأة عجيبة ، تلك التى يدبرها لنا الأمير «زبرجد»

ابن عمك ، إن الحسناء « أزاهير » فى القاعة العليا
الآن . . . هنالك .

يشير إلى السقف بأصبعه :

وقد أحاط بها من الوصائف جمع زاخر .

بنفسج : (ضاحكة فى تعجب ساخر) : ولم يا ترى هذا الجمع
الزاخر من الوصائف أيها السيد « قرنفل » ؟

قرنفل : إنهن يلبسنها الحلل الزاهية يا سيدتى الأميرة « بنفسج » ،
ويعلمنها أدب المجالسة والحديث ، مما هو من خصائص
المجتمع .

بنفسج : أعجب لهذه الفتاة ، أين كانت تعيش ؟ أهبطت علينا
دفعة واحدة من السماء ؟

قرنفل : أو هى من جهنم . . . من يعلم ؟

يتضاحك الجمع

إن « أزاهير » هذه محوطة بأسرار غامضة !

بنفسج : ليس ثمة أسرار على الإطلاق ، ألا يكون الأمير «زبرجد»
التقطها من بيئة دون بيئته ؟ . . بيئة . . .

تمسك عن الكلام ، إذ تلمح السيدة « ياسمينة »
قهرمانة القصر ، فى مشيتها المتخطرة ، يتدلى من
نطاقها العريض رزمة من المفاتيح الضخمة .

السيدة « ياسمينة » تجتاز البهرغير معنية بأحد .
الأميرة « بنفسج » تنادى :

« ياسمينة » . . . « ياسمينة » . . . تعالى .

تتقدم إليها « ياسمينة » بادية الضيق

لا تحسبى أنى أعوقك عن عملك . . . أعلم أنك
— الليلة — فى شغل عظيم . وأن الأمير فى حاجة ماسة
إلى معاونة قهرمانة القصر الأولى . . . إنها بضع كلمات
أرغب فى الإفضاء بها إليك .

ياسمينة : (محتفظة بأنفتها) : إنى طوع أمر سيدتى الأميرة
« بنفسج » .

بنفسج : (محاولة أن تخفض من صوتها) : ألا تعلمين يا «ياسمينة»
من أين أتى الأمير بهذه الحسناء « أزاهير » ؟

ياسمينة : لو سمعتِ ما سمعته من قول « زعرور » لما فهمت مثلى
شيئاً . . . غموض يتجلى عن غموض . . . ولكن الأمر
الواضح فى هذه الأميرة أن هيئتها وشارتها تخالفان ما
نعهده فى بنات « حواء » . . .

بنفسج : ماذا تعنين ؟

ياسمينة : وحقك لا أدرى كيف أقول . . . أكاد أجزم بأن
« أزاهير » هذه ليست من أهل هذه الأرض !

الجمع : (فى مهمة) : ليست من أهل هذه الأرض ؟

ياسمينة : لو رأيتم ما يتجلى على محياها من التهيب والحيرة والاهتياج لشملكم أشد العجب !

قرنفل : ألم تسمعيها تتكلم ؟

ياسمينة : سمعتها . . . إنها ما كادت تصل إلى القصر ، حتى انطلقت تلح على الأمير أن يعيدها حيث كانت !

قرنفل : عجيب ! لعل القصر لا يروقها . . .

ياسمينة : لست أدرى . . . إنها لم تكد تطأ حجرة الثياب ، فترى الأنوار ملتمعة على صفحات المرايا ، حتى حجبت عينيها بيديها ، وهى تقول : أين أنا الآن ؟

بنفسج : (متعالية بضحكتها الساخرة) : المسكينة بالغة السذاجة . ألم أقل : إنها من بيئة دون بيئة الأمير ؟ شد ما أحس الشفقة عليها !

ياسمينة : وما إن ارتدت الثياب الزاهية ، وازدانت بالحلى الثمينة ، واعتادت التطلع إلى المرايا ، حتى بدت عليها خفـة المرح ، وما لبثت فى جيئة وذهوب رانية إلى خيالها على صفحات المرايا ، يملكها الزهو والإعجاب .

قرنفل : إنها لتجربة قاسية تلك التى تمر بها هذه الفتاة !

ياسمينة : . . . . ولما أقبل غلمان الشرف ، ليحيطوا بها حين تنزل ،

أقصتهم عنها ، وهى تصيح ملحة على الأمير أن يعود بها أدراجها حيث كانت تعيش .

تعلو الموسيقى رويداً .
الجمع يتبادلون الحديث فى خفوت
يبدو رئيس الخدم على عتبة باب الطبقة العليا ،
ويدق الأرض بعصاه ثلاث دقات . الأبصار
تشخص إليه . يسود الصمت

رئيس الخدم : (صائحاً): الأمير « زبرجد » والأميرة « أزاهير »

رئيس الخدم يهبط الدرج إلى البهو ،
بعد لحظة يبدو الأمير « زبرجد » آخذاً بيد « أزاهير »
هابطاً بها الدرج فى تباطؤ ، وخلفهما غلمان الشرف .
« أزاهير » متشبثة بذراع « زبرجد » بادية
التهيب : تتعثر فى مشيتها منزعجة حينما يقع بصرها
على الحشد .
تسر إلى الأمير رغبتها فى العودة . الأمير
يلاطف يدها ويطمئنها ، يتابع معها هبوط الدرج .
يعبران البهو بين سمطين من الضيوف ، يقفان فى
بهرة البهو . « أزاهير » آخذة بيد « زبرجد » لا تخليها .
« زبرجد » يقدم إلى « أزاهير » كبراء الضيوف . تحييهم
فى سذاجة .
تهامس وتهانف وضحكات مكتومة .
الموسيقى تواصل إطلاق الأنغام .

« أزاهير » ينال منها الجهد ، يتصبب من جبينها العرق ، بجلسها الأمير « زبرجد » على متكأ .

« أزاهير » لا تبرح متشبثة بيده .

« قرنفل » يعجل إلى مائدة الشراب . فيجلب منها كأساً يقدمها « لأزاهير » .

« أزاهير » تنظر إلى « زبرجد » متسائلة .

زبرجد : (« لأزاهير ») : اشربى . . . اشربى .

أزاهير : (تأخذ الكأس من « قرنفل » وهى تتأملها) : أشراب التوت هو ؟

الجمع : (يتهامسون ، ويرددون فى سخرية خافتة) : توت ؟ . . . توت ؟

زبرجد : (« لأزاهير ») : إنه شراب آخر . . . ذوقيه . . .

تمتص من الكأس رشفة ، لا تستطيب الشراب

أزاهير : شراب كريه المذاق .

زبرجد : ولكنه مفيد ، يجدد القوى ، ويبدد المخاوف . . . اشربى

« أزاهير » تشرب جرعة وافية

أزاهير : أجد لهذا الشراب فى جسمى لذع النار . . .

زبرجد : لا تخشى شيئاً . . . اشربى .

« أزاهير » تتناول جرعة أخرى

أزاهير : متى تعود بى إلى قصرى ؟

الجمع : (يتهامسون) : قصرها . . . قصرها !

زبرجد : («لأزاهير») : فى الوقت الذى تشائين فيه أن نعود .

أزاهير : وأنت ؟ ماذا تصنع بعد أن تعود بى إلى القصر ؟

زبرجد : سأرجع إلى قصرى . . . هنا . . .

أزاهير : (فى قلق ساذج) : هنا ؟ ! . . . أترع من ذلك الشراب كأسى !

يملأ لها الكأس فتفرغها فى فمها دفعة :

عجيب هذا الشراب !

الموسيقى تصدح عالية .
« الأمير زبرجد » يشير إشارة ابتداء الرقص . .
يتقدم فارس وفارسة يرقصان معا رقصة شرقية
« أزاهير » تتطلع فى شغف بما ترى ، ولا تلبث
أن تميل على « زبرجد » قائلة :

ماذا يصنعان ؟ ! . . . هذا شىء جميل !

زبرجد : إنهما يرقصان .

أزاهير : (فى ابتهاج ، واهتياج) : يرقصان ! ؟

زبرجد : أتريدين أن نحاكيهما فيما يصنعان ؟

أزاهير : (مسارعة) : أجل . . .

تهم بمراقصته ، ولكن سرعان ما تحس أنها
غير قادرة على المحاكاة ، لجهلها فن الرقص .

تعود إلى مكانها مستخذية ، تواجه « زبرجد » بقولها :

املأ كأسي . املأها إلى الحافة . . .

« زبرجد » يستجيب لها .
« أزاهير » تشتف الكأس ، ثم لا تلبث أن تطلق ضحكة مجلجلة .

زبرجد : ما هذا ؟ !
أزاهير : (وقد أغربت في الضحك) : لا شيء . . . لا شيء . . . .
زبرجد : إنك تضحكين !
أزاهير : أحس السرور يغمر أقطار نفسي . . . ألا تحس ما أحس ؟ !

الفارس والفارسة يمسكان عن الرقص ، ويتركان البهرة ، فما هي إلا أن نرى الأميرة « بنفسج » تجذب « زبرجد » سائقة إياه إلى بهرة الرقص ، فلا يملك إلا أن يراقصها .
« قرنفل » يأخذ مكانه بجانب « أزاهير » مقبلا عليها يحدثها .
يكمل « بنفسج » و « زبرجد » ، دورة من الرقص .
يبدو على وجه « أزاهير » تغيظ وحنق ، الغيرة تضطرم في قلبها .

« قرنفل » يحاول تهدئتها عبثاً .
« أزاهير » تهب دفعة واحدة مختطفة سيف
« قرنفل » وتشهره فى يدها ، مقتحمة بهرة الرقص .
« بنفسج » تعدو صائحة مستغيثة .
« أزاهير » تضرب « زبرجد » بالسيف فتصيبه
إصابة هينة .
« زبرجد » يمسك بها ، وينتزع السيف من
يدها ، كما ينتزع الأب لعبة خطرة يتشبث بها طفله .
هرج ومرج ، وأصوات تنبعث من الجمع فى
تساؤل وعجب .

زبرجد : (صائحاًبالجمع) : انصرفوا . . . انصرفوا . . . .

الجمع يتفرق ، ومنهم من يلتفت فى منصرفه إلى
« زبرجد » و « أزاهير » فى سخرية خفيفة .

أزاهير : (مرتجفة) : ماذا فعلت ؟!
زبرجد : ضربتنى بالسيف .
أزاهير : إذن قتلتك !
زبرجد : كلا . . .
أزاهير : بل قتلتك . . . أنت الآن ميت . . . ألم تخبرنى من
قبل بأن السيف رسول المنية ؟ !

زبرجد : قلت لك : لم أمت .

أزاهير : كيف ؟

زبرجد : إن السيف فى يدك يا « أزاهير » يفقد مَضاءه !

أزاهير : لقد أتت « أزاهير » أمراً منكراً . . .

زبرجد : لم يكن لك يد فيما فعلته .

أزاهير : كيف ذلك ؟

زبرجد : إن ما فعلته من عمل الشيطان .

« قرنفل » يقدم

قرنفل : أجل . من عمل الشيطان . . . نعوذ بك يا رب من الشيطان الرجيم !

أزاهير : ما شأن الشيطان فيما عملت ؟ أنا التى ضربت بالسيف

زبرجد : إن الشيطان هو الذى يحرك يدك .

أزاهير : أين هو الشيطان ؟ ومن يكون ؟

قرنفل : (فى تخوف) : إنه كائن غير منظور يحيط بنا أينما نكون ، ويكيد لنا دون أن نراه ، ويدفعنا إلى اقتراف المنكرات والآثام . . . إنه عدونا اللدود . . .

أزاهير : ما أفظع الشيطان ! . . . أترانى قد وقعت فى حبائله ؟ !

زبرجد : كل منا فريسة الشيطان . . . إن حياتنا صراع مرير معه

أزاهير : ترى لمن تكون الغلبة ؟
زبرجد : هذا أمر لا يعلمه إلا الله .

إظلام هنيهة . . .
عودة النور .
يبدو كهف الشياطين .
« بزعبول » فى غدو ورواح وقد استبدت به الثورة والاهتياج .
« أرقط » ماثل يرقبه فى اهتمام .

بزعبول : لقد استطاع — ابن « آدم » — أن يمكر بى على الرغم من حيطتى البالغة . استطاع أن يستلب « أزاهير » من قصرها المكين .
أرقط : هذا صحيح . ولكن ابن « آدم » غير ملوم . . .
بزعبول : (صائحاً) : من الملوم — إذن — يا « أرقط » ؟
أرقط : اللوم واقع عليها هى أيها الزعيم . . . إنها المكر المجسّم ، والخبث المصور ، هى التى رضيت أن تبرح القصر معه
بزعبول : ولكنه هو الذى دبر المكيدة ، ومهد الطريق .
أرقط : لو لم تكن هى على استعداد طبيعى لاستقبال هذا الباعث ، لما استطاع هو أن ينال مأربه .
بزعبول : (صائحاً) : قلت لك : إنه المجرم الأول .
أرقط : (صائحاً) : بل هى جرثومة المفاسد ، وأس المكايد .

بزعبول : (فى صيحة عاصفة) : بل هو . . . هو !

أرقط : بل هى . . . هى !

يهم « بزعبول » بضرب « أرقط » بالمرزبة
فيتقدم « أرقط » مبدياً أسفه واعتذاره

أرقط : هدوءاً سيدى الزعيم، ولنتصالح . . . ليس ثمة خلاف بيننا . كلاهما مجرم أثيم . . . إنهما من أرومة واحدة ، أرومة الفساد والضلال ، أرومة الإنسان !

بزعبول : الإنسان. . . الإنسان . . . شدّ ما أحس له الكراهة والمقت !

أرقط : أؤكد لسيدى الزعيم أننا بذلنا كل ما فى الوسع أن نبذل... فلا لوم علينا ولا تثريب ، ولكنى أعجب كيف عزب عن بال الزعيم أن يرسم لغايته خطة أحكم وأحزم ؟

بزعبول : تريد أن تلقى التبعة علىّ ، وتنجو من القصاص أنت ومن معك ؟ !

أرقط : لقد تعاهدنا أيها الزعيم على الصدق والإخلاص . . . ألا أصارحك ؟

بزعبول : قل ما بدا لك . . .

أرقط : أخشى أن أقول : إن تجربتك — أيها الزعيم — قد باءت بإخفاق .

بزعبول : أخفقت التجربة من ناحية . هذا صحيح . لقد عجزنا عن تربية إنسان فاضل لا يستهويه الشر . ولكن هذه التجربة أصابت توفيقاً ونجاحاً من ناحية أخرى .

أرقط : أية ناحية تقصد ؟

بزعبول : إن التجربة أثبتت : أن الشر كمين فى غرائز البشر . . . إن قطبنا الأكبر : — تقدست فى النار ذكراه — كان على حق فيما وصف به الإنسان .

أرقط : أعترف لك — ياسيدى — أنك قد أقمت البرهان الصريح على أن الإنسان يحمل فى طيات نفسه أسباب تعاسته وأن بين يديه إسعاد نفسه أو إشقاءها !

بزعبول : وإنه يتخذ دائماً من الشيطان ذريعة يستر بها نقيصته ، ويبرئ نفسه . على أنه قليلا ما يؤثر جانب التلطف بنا ، والملاينة لنا ، فيتجافى بأوزاره عنا ، يعزوها حيناً إلى الزمن ، ويرمى بها حيناً وجه القضاء والقدر . إنه — حقاً — لمخلوق عجيب !

أرقط : إنى لأسائل نفسى : لم يمعن الإنسان فى مكابرة وعناد؟ ولم لا يقر على نفسه بالحقيقة جهرة ومصارحة ، فيريح ويستريح .

بزعبول : لقد خلق كذلك مكابراً عنيداً . لا يعترف بالحق إلا

قليلا على كره وإرغام . تلك شيمة أصيلة فى فطرته ، فإذا نزعتها منه لم يصبح ذلك الإنسان إنساناً !

أرقط : مهما يكن من أمر فإنى أهنئك أيها الزعيم على محاولتك الطريفة . لقد أفدنا منها على أية حال ، وحسب التجربة أن تتمخض عن جديد من المعرفة .

« أفعوان » يقدم ، يحيى الزعيم

بزعبول : ما خطبك يا « أفعوان » ؟

أفعوان : بعثة الإفساد فى الأرض ترغب فى لقاء الزعامة الشيطانية قبل الرحيل .

بزعبول : (فى استياء) : إن صدرى — الساعة — ضائق . . . ولا أجد فى نفسى ارتياحاً للقاء تلك البعثة .

أرقط : لا بأس — يا سيدى الزعيم — بأن تأذن فى لقائها لحظات .

بزعبول : فلتتقدم .

ينصرف « أفعوان » مطيعاً

« بزعبول » يتابع القول :

بعثات إفساد ذاهبة إلى الأرض ، وأخرى آيبة منها . وماذا أثمرت ؟ بئس ما أثمرت !

تسمع ضجة ومشاحنة فى الخارج .

ما هذا ؟!

أرقط : يبدو لى أن خلافاً نشب بين أعضاء البعثة .

يقدم « أفعوان »

أفعوان : (صائحاً) : بعثة الإفساد فى الأرض .

يقدم « سبائك » و « هلاهيل » و « أنابيب »
وبعض الأعوان ، يبدو عليهم أنهم متشاكسون

بزعبول : علمت أنكم على وشك ارتحال إلى الأرض تؤدون فيها رسالة الإفساد والإضلال ، فماذا عندكم تريدون الإفضاء به إلى ؟

كل منهم يطلب الكلام بادئاً ، وأصواتهم ملتجة
يختلط بعضها ببعض ، وهم يتراشقون بنظرات حامية

أراكم فى تنازع ، ففيم نزاعكم ؟

سبائك : مثيرة النزاع « هلاهيل » !

هلاهيل : بل أنت مثار النزاع يا « سبائك » . . . وإنك لتفرش طريقنا بالمتاعب والعراقيل .

« أنابيب » يخرج من صدره حفنة
من رميم العظام ويقذف بها فى فمه

أنابيب : (يلوك طعامه ، ويتكلم مجمجما وهو يشير إلى « سبائك » و « هلاهيل ») :
بل هما معاً أصل كل خلاف وشجار !

بزعبول : ما الخبر ؟ !

أنابيب : (وهو على حاله يلوك الطعام ، ويتكلم فى غير وضوح) : كلاهما أعد خطة للإفساد يريد أن ينفذها ، وكلاهما يعمل على إحباطِ الخطة الأخرى . ولو أنصفَا لعدلا عن خطتهما جميعاً ، وأخذا بخطتى التى رسمتُها . . . إنها أنجح خطة لإغواء الآدمىّ .

سبائك : هراء ما يقول ، إنى — أيها الزعيم — أتخذ طريقة جديدة للإفساد توائم عصرنا الحاضر ، عصر السرعة . إنها طريقة فيها تجديد شامل .

هلاهيل : لا تصدق قوله أيها الزعيم . . . إنه يتشدق بالتجديد ، وهو لا يزال يتعثر فى رجعيته ، لقد وضحت الدلائل على أنه غير مجدد ، وأكاد أقول إنى فقدت الثقة به .

سبائك : (« لهلاهيل ») : تقولين هذا لأنى أبيت أن أجاريك فيما تطلبين . . .

يوجه قوله إلى الزعيم

إن مطالبها لا تقف عند حد . . . إنها مسرفة فى التطرف والشذوذ .

هلاهيل : (صائحة) : إن مطالبى عادلة .

أنابيب : استمعوا إلى مطالبى أنا. . . فهى خير وأهدى سبيلا. .

بزعبول : (موجهاً الكلام إلى « هلاهيل » ، و « سبائك ») : عجباً لكما ! لقد كنتما مضرب المثل فى المودة والوفاق .

هلاهيل : إنه قُلَّب لا يدوم على حال ، شد ما تتلون عاطفته ألواناً

سبائك : وإنها لطاغية فى عاطفتها الجامحة ، لها قلب « دكتاتورى » المنزع .

أنابيب : ذنب « سبائك » أنه يريد التحرر من سطوة قلبها ، ليعيش كما يهوى .

بزعبول : يسوءنى أن أعلم ما أنتما عليه من شقاق ! ألا من سبيل إلى رضاً ووئام ؟

هلاهيل : إنه يعترض سبيلى فيما أنتهج من خطط . . . .

بزعبول : أية خطط تنتهجين ؟

سبائك : إنها تقصد أيها الزعيم : مشروع «التأميم » . هو مشروعها الأصيل . وهى تطالب اليوم بإنفاذه . . .

أرقط : التأميم فكرة طائشة ، وليس لنا فيها نفع .

هلاهيل : بل فيها كل النفع ، إنها تحدّ من أنانية الفرد وجشعه ، وتكفل العدالة للمجتمع .

سبائك : الفكرة فى جوهرها فكرة صائبة ، ولكن علينا أن نلتزم فى إنفاذها جانب الأناة ، يجب أن نتدرج فيها ، متخذين التجربة أساساً لنا . وعلى هدى التجارب نسير

أما إذا اندفعنا فى تعميم الفكرة طفرة واحدة، فربما أفضت بنا إلى شر جسيم، وربما انتهت بنا إلى أسوأ مما نحن عليه الآن .

هلاهيل : ما دامت الفكرة أساسها صالح فلم الإبطاء فى تنفيذها ؟

سباتك : أثبتت التجارب أن « التأميم » لا يؤتى ثماره الطيبة إلا إذا تولته أيد نقية ، وضمائر حية ، ونفوس راضية مرضية ، تعمل لوجه الخير ، وتنشد صالح المجتمع. فأين منا المواطنون الذين تتوافر لهم تلك الأيدى والضمائر والنفوس؟..

هلاهيل : إذا أحسنا الاختيار لم نعدم بيننا هؤلاء المواطنين . . .

أنابيب : (صائحاً) : لا اعتراض لى على مبدإ « التأميم » .

سباتك وأرقط : (دهشين فى صوت واحد) : أنت !

أنابيب : أوافق على شرط . . .

بزعبول : وما شرطك أيها السيد « أنابيب » ؟

أنابيب : أن نبدأ بتأميم أهم شىء فى المجتمع . . .

هلاهيل : ماذا تقصد بقولك ؟

أنابيب : (صائحاً مجلجل الصوت) : أقصد تأميم « الحب» !

همهمة ، وصيحات خافتة ، بين مؤيد ومعارض .

هلاهيل : ما هذا التخليط ؟

أنابيب : ليس تخليطاً ما أتفوه به . إنه الصواب عينه ، يجب

« تأميم » الحب !

بعض الجمع : (فى صيحة واحدة) : يجب « تأميم » الحب !

أنابيب : أثمة شىء يعبر عن الأنانية والاحتكار والاستغلال أكثر من الحب ؟

سبائك : لا فض فوك !

ضجة بين معارض وموافق

أنابيب : الحب أكبر « رأسمالية » عاطفية ، فيجب الحد من سلطانه !

أحد الأعوان : (صائحاً) : يجب أن يكون الحب ملكاً للأمة، حقًّا للشعب .

آخر من الأعوان : (فى صيحة) : فليسقط احتكار العواطف .

ثالث من الأعوان : القلب لمن يحبه . . . الحب للجميع ! . .

تنشب بين أعضاء البعثة الثلاثة مناقشة عنيفة ، تنتهى بهم إلى الملاكمة

أرقط : (متدخلا بين المتلاكمين) : ألا تستحون ؟ . . . أين أنتم؟!

بزعبول : (صائحاً ، رافعاً المرزبة فى يده مهدداً) : إليكم عنى . . . لقد طفح الكيل . . . إليكم عنى . . .

البعثة ترتاع ، وتتهيأ للهرب

ألم تسمعوا أمرى ؟ ألم تفقهوا قولى ؟ خروجاً . . .

خروجاً . . . هيا . . . هيا . . .

يثور على أعضاء البعثة بالمرزبة ، فيلوذون بالفرار . . . .

« أنابيب » يتعثر فيسقط مضطرباً ، ولا يستطيع الفرار لشدة رعبه ، يتقدم حارسان فيجرانه جراً وهو يتصايح .

« بزعبول » مختل الخطو فى جيئة وذهوب ، يسرع إليه « أرقط » بقدح من الشراب ، فيجرعه دفعة واحدة . يراجعه هدوءه رويداً

بزعبول : إن ما يمر بى من المشاهد ، ليثبت لى أمراً غاب عن بالنا دهراً . . . نحن نبعث البعوث لإفساد غيرنا ، لأننا عاجزون عن إصلاح نفوسنا ، وإنه لضعف ظاهر فينا لا مرية فيه .

أرقط : أتعنى أيها الزعيم أن نلغى هذه البعثة ؟ !

بزعبول : ولم لا ؟ فلنلغها .

أرقط : حذار أيها الزعيم . . . إنك بذلك تعفى عشيرتنا من مهمة يتحمسون لها ، ويجدون فى مزاولتها تيهاً وعجباً .

بزعبول : أمن أجل هذا يا « أرقط » تريد أن نبقى على شىء استبان لنا عجزه ؟ لقد أيقنا أن الإنسان فاسد بطبعه . فلندع البشر ، ولنقبل على أنفسنا بادئ بدء . . . ماذا نهضنا

به حتى اليوم من إصلاح ؟ لقد أفلحنا فى المهاترات والمشاغبات ، ولم يكن هتافنا بالتجديد إلا تشدقاً ودعوى . . . . وها نحن أولاء نصيح بالمطالب تلو المطالب ، لا يجتمع أمرنا على عمل مثمر . . . ويا ليتنا فرغنا لأنفسنا نعالج شئوننا . . . ولكننا أقحمنا أنوفنا فى شئون غيرنا . . نعمل على إفساد « ابن آدم » حيناً ونسمو إلى إصلاحه حيناً آخر . . . ماذا كسبنا من عنائنا فى محيط البشر ؟ فلننفض من هذا العبث أيدينا ، ولننظر فى صوالحنا إن كنا فاعلين !

أرقط : إذن ندعو « مجلس التشريع والأحكام » لتحديد الخطة الواجبة الاتباع . . . .

بزعبول : مجلس التشريع . . . مجلس الأحكام !

يتضاحك فى استهزاء

كفى ما أفدنا من مجلسكم العظيم . . . ما زلتم قوماً تهزلون !

يعلو ضحكه على نحو بشع يشيع
الرهبة فى كهف الشياطين .

ستارة الختام


تصدر كل يوم خميس
مغامرات
قصص
ثقافة
تسلية
محمد سعيد العريان
تصدرها دار المعارف بمصر
تطلب من باعة الصحف والمكتبات

اقرأ

تظهر قريباً :

الطبعة الثانية من كتاب

عود على بدء

للمغفور له الأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

الكتاب رقم ٤ من سلسلة اقــرأ

يصدر فى ١٥ / ٣ / ١٩٥٣

الثمن ٥ قروش

اطلب نسختك من الباعة والمكتبات

دار المعارف بمصر

المركز الرئيسى ٥ شارع مسبيرو بالقاهرة ت ٤٩٨٦٨

فرع الفجالة ٩ شارع كامل باشا صدقى ت ٤٩٨٦٦

فرع الإسكندرية ٢ ميدان محمد على بالإسكندرية ت ٢٣٥٨٨

ص. ت. ٥٢١٢١